ISSN 2347-2456
المجلد ٧٠
شعارنا الوحيد إلى الإسلام من جديد

البعث الإسلامي

مجلة إسلامية شهرية جامعة

العدد الثاني – المجلد السبعون – جمادى الثانية – رجب ١٤٤٥هـ – يناير – فبراير ٢٠٢٤م

- الانتصار والفتح لأهل الحق وحملة الرسالة العالمية (افتتاحية العدد)
- الإسلام والعلم الحديث
- قصة صاحب الجنتين ومآل الجهود الإنسانية
- حقوق النبي صلى الله عليه وسلم على أمته
- ألم يعلم بأن الله يرى
- خطوات أولية في بناء الملَكة التفسيرية
- نبوءة وجود سبع قارات في الأحاديث في ضوء القرآن والحديث
- حاجة العلوم الإسلامية إلى علم القواعد العربية
- الشيخ محمّد الرابع الحسني الندوي أديباً ألمعيّاً ، وكاتباً بارعاً
- سجل إجرامي لليهود وفضائحهم

تصدرها : مؤسسة الصحافة والنشر، ص.ب.٩٣، لكناؤ. الهند
If undelivered please return to:
Al Baas El Islami, Majlis Sahafat wa Nashriyat , Nadwatul Ulama Campus, Tagore Marg,
Post box no.93 Lucknow-226007 Uttar Pradesh, India.
Email: info@albasulislami.com Website: www.albasulislami.com

بسم الله الرحمن الرحيم

شعارنا الوحيد إلى الإسلام من جديد

المجلد ٧٠

مؤسسة الصحافة والنشر

البعث الإسلامي

مجلة إسلامية شهرية جامعة

January , February 2024 يناير – فبراير ٢٠٢٤م

العدد الثاني – المجلد السبعون – جمادى الثانية – رجب ١٤٤٥هـ – يناير – فبراير ٢٠٢٤م

ندوة العلماء

تأسست ندوة العلماء ودارالعلوم التابعة لها على مبدأ التوسط والاعتدال، والجمع بين القديم الصالح والجديد النافع،وبين الدين الخالد الذي لا يتغير، والعلم الذي يتغير ويتطور ويتقدم ، وبين طوائف أهل السنة التي لا تختلف في العقيدة والمنصوص، وقامت من أول يومها على الإيمان بأن العلوم الإسلامية علوم حية نامية ، وأن منهاج الدراسة خاضع لناموس التغير والتجدد ، فيجب أن يتناوله الإصلاح والتجديد في كل عصر ومصر ، وأن يزاد فيه ، ويُحذف منه بحسب تطورات العصر ، وحاجات المسلمين وأحوالهم.

الإمام العلامة الشيخ السيد أبوالحسن علي الحسني الندوي (رحمه الله)

أنشأها

فقيد الدعوة الإسلامية

الأستاذ محمد الحسني رحمه الله تعالى

في عام:١٣٧٥هـ -١٩٥٥م

المشرف العام

الأستاذ السيد

بلال عبد الحي الحسني الندوي

رئيس التحرير

سعيد الأعظمي الندوي

مدير التحرير

محمد فرمان الندوي

مساعد التحرير المسئول عن المكتب

محمد عبد الله المخدومي الندوي

المراسلات

البعث الإسلامي

مؤسسة الصحافة والنشر

ص.ب.٩٣ لكناؤ (الهند)

AL-BAAS-EL-ISLAMI

MAJLIS - E - SAHAFAT -WA- NASHRIYAT P. O. BOX: 93 Tagore Marg, Lucknow. Pin:226007 U. P. (India) Mob: 9889336348, 8400476826

Email: albaas1955@gmail.com , info@albasulislami.com

محتويات العدد

العدد الثاني ـ المجلد السبعون ـ جمادى الثانية ـ رجب ١٤٤٥هـ ـ يناير ـ فبراير ٢٠٢٤م

❖ الافتتاحية :

الانتصار والفتح لأهل الحق وحملة الرسالة العالمية الخالدة — سعيد الأعظمي الندوي — ٥

❖ التوجيه الإسلامي :

الإسلام والعلم الحديث — الإمام الشيخ السيد أبو الحسن علي الحسني الندوي — ٩

قصة صاحب الجنتين ومآل الجهود الإنسانية — الشيخ السيد محمد الرابع الحسني الندوي — ١٤

❖ الدعوة الإسلامية :

حقوق النبي صلى اللّه عليه و سلم على أمته — الشيخ السيد بلال عبد الحي الحسني الندوي — ٢٢

ألم يعلم بأن اللّه يرى — الدكتور أشرف شعبان أبو أحمد — ٢٥

خطوات أولية في بناء المَلَكة التفسيرية — الدكتور عبد الصمد امزيان — ٣٣

❖ الفقه الإسلامي :

خصائص فقه المعاملات في الإسلام — سعادة الدكتور عبد العزيز بن عبد الله العمار — ٤٠

العملة الرقمية البيتكوين في ميزان الشريعة الإسلامية — الدكتور خورشيد أشرف إقبال — ٤٧

❖ دراسات وأبحاث :

نبوءة وجود سبع قارات في الأحاديث في ضوء القرآن والحديث والجغرافيا والجيولوجيا الحديثة — الأستاذ آنيس الرحمن الندوي — ٥١

حاجة العلوم الإسلامية إلى علم القواعد العربية — الباحث صابر علي شيخ العمري — ٥٨

دراسة مقارنة بين كتابين : " الفتنة الدجالية – وتأملات في سورة الكهف " — الباحثة زرفشان خان بنت عبدالستار خان — ٦٧

❖ رجال من التاريخ :

الشيخ محمّد الرابع الحسني الندوي أديباً ألمعيّاً ، وكاتباً بارعاً — الدكتور محمّد شرف عالم — ٧٥

❖ تعريف بكتاب :

الجُهُودُ الفِقْهِية في فرنْسَا — الدكتور صالح العَوْد — ٨٢

❖ في رياض الشعر والأدب :

غايةُ الأحرار تحريرُ القُدُسْ — الأستاذ فخر الإسلام المدني — ٨٥

فلسطين قد صارت ضحية دولةٍ — الأخ برويز عالم الندوي — ٨٧

❖ صور وأوضاع :

سجل إجرامي لليهود وفضائحهم — محمد فرمان الندوي — ٨٨

❖ أخبار علمية وثقافية :

بيان من رابطة الأدب الإسلامي العالمية إلى الأدباء والمفكرين عن الحرب العدوانية على غزة — الأستاذ الدكتور حسن الأمراني — ٩٢

القرارات والتوصيات للندوة الفقهية الخامسة ١٤٤٥هـ — الدكتور محمد علي شفيق الندوي — ٩٦

❖ قراءة في كتاب :

الأدب والإسلام وأعلام الأدب الإسلامي للشيخ الدكتور سعيد الأعظمي الندوي — الأخ محمد وصي — ٩٩

❖ إصدارات حديثة :

(١) مرتضى الزبيدي معجمياً — مدير التحرير — ١٠٠

(٢) لمع ونتف من الشعر والشعراء — " " " — ١٠١

(٤) فقه الدعوة لدى الإمام يوسف القرضاوي — " " " — ١٠٢

بسم الله الرحمن الرحيم

الانتصار والفتح لأهل الحق

وحملة الرسالة العالمية الخالدة

قضية فلسطين من القضايا العالمية التي شغلت أذهان الناس رجالاً وشعوباً ، وأمةً وأفراداً ، وقد رأت هذه القضية كثيراً من المنعطفات والوهاد والنجاد التي سجلها التاريخ الإنساني في ذاكرته ، وينتمي المسلمون إلى أرض فلسطين جسدياً وروحياً ، ولهم ذكريات تاريخية لن ينسوها أبد الدهر ، كما أن هناك طوائف وجماعات تدعي بالنسبة إليها ، وليس لهم من الدلائل إلا كنسج العنكبوت ، وقد سكن المسلمون العرب أول من سكنوا في هذه المنطقة ، وعمروها بخيرات وبركات كثيرة ، وأخيراً أسري بها النبي صلى الله عليه وسلم إلى المعراج ، وصلى بالأنبياء هنا ، وتوجه إلى المسجد الأقصى المسلمون نحو سبعة عشر شهراً ، ثم كان فتح هذه المنطقة صلحاً في زمن سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وقد ذكر الله تعالى هذه الأرض في كثير من الآيات القرآنية ، قال تعالى : (سُبْحَانَ ٱلَّذِى أَسْرَىٰ بِعَبْدِه لَيْلاً مِّنَ ٱلْمَسْجِد ٱلْحَرَامِ إِلَىٰ ٱلْمَسْجِد ٱلأَقْصَى ٱلَّذِى بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَآ إِنَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ) [الإسراء : ١] .

الرحلة من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى لم تكن عفواً أو ارتجالياً ، إنما كانت بتقدير دقيق من الله العزيز الحكيم ، فكلما قارب في شهر رجب موعد الليلة السابعة والعشرين تتمثل أمامنا قصة الإسراء والمعراج ، التي كانت فارقةً بين أسطورة الوساطة بين الله والعبد ، والاتصال المباشر بين العبد والمعبود ، وكانت هذه الرحلة تؤكد لنا قيادة هذه الأمة للعالم والوصاية عليه ، فقد كان في رحلة النبي صلى الله عليه وسلم من مكة إلى فلسطين إشارةً إلى هذا الجانب المهم ، وإيماءً إلى هذا الجانب أن دور الأمم الماضية قد انتهت ومضت ، ولم يبق لهم عين ولا أثر من الخلافة على الأرض ، بما أنهم قد أساءوا إلى الأنبياء والرسل الذين بُعثوا إليهم ، وخرقوا قوانين الله وشرائع الدين علناً وجهاراً ، ولم يعبأوا بأقل واجب نحو ما أمرهم الله ورسوله صلى الله عليه وسلم في زمنه ،

فثار غضب الله عليهم ، ولُعنوا على لسان أنبيائهم ، وجُعلوا قردةً وخنازير وعبدة الطاغوت إلى يوم القيامة ، إلا بحبل من الله ، فإن الله هو الذي يهدي إلى الصراط المستقيم .

إن القدس تحمل في تاريخ الإسلام والمسلمين أهميةً بالغةً ، ولولا أن للقدس تاريخاً مقدساً منذ خمسة آلاف سنة ، وتكون قد مرت عليها عصور كثيرة ، سكن خلال ذلك واستوطنها أمم وشعوب متعددة الأسماء والانتماءات ، ولولا ذلك التاريخ المقدس لها لما كانت للقدس تلك القدسية التي تمت لها في العهد المكي ، حيث شهدت القدس زيارة النبي صلى الله عليه وسلم بمناسبة الإسراء ليلاً ، وهو الذي يتلخص في نعم جسيمة وآلاء جليلة من الله ، وهي أن كل من قال كلمة لا إله إلا الله فهو دخل الجنة ، والصلوات الخمس في كل يوم وليلة ، والآيتان الأخيرتان من سورة البقرة ، ولما تولى الخلافة الإسلامية الخليفة الراشد الثاني أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه دخل مدينة القدس في العام الخامس عشر الهجري ، (عام ٦٣٦م ، أو ٦٣٨م) على اختلاف القول ، وذلك بعد انتصار الجيش الإسلامي بقيادة الصحابي الجليل أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه ، وكان البطريرك صفرونيوس قد سلّم مفتاح المدينة بنفسه إلى الخليفة الثاني ، واتفق على ذلك بكتابة العهدة العمرية ، الوثيقة التي منحت الخليفة الإسلامي الحرية والاستقلال الديني الإسلامي ، وغيّر اسم المدينة من إيلياء إلى القدس ، وقد نصت الوثيقة العمرية أن لا يساكنهم أحد من اليهود .

فظلت القدس منذ ذلك الوقت مدينةً إسلامية مقدسة ، وأخذت طابعها الإسلامي الذي اهتم به الناس كثيراً ، في العهد الأموي ، طول بقاء الخلافة في أيدي الأمويين إلى مدة تقارب تسعين عاماً ، ولكنها في الخلاقة العباسية شهدت نهضة حضارية وعلمية في مجالات متعددة ، فقد وفق الخليفة عبد الملك بن مروان إلى بناء مسجد عُرف بجامع قبة الصخرة في الفترة ما بين (٦٨٢ – ٦٩١م) ،وبعد ذلك بنحو ثمانية عشر عاماً أعيد بناء المسجد الأقصى بإدخال تحسينات معمارية فيه ، رحب بها المسلمون في كل مكان ، وقد حكم المسلمون فيها إلى أكثر من خمسة قرون ، لكن القدس المقدسة استولى عليها الصليبيون في عام ١٠٩٩م مع نهاية القرن الحادي عشر الميلادي ، نتيجة الصراعات التي قامت بين السلاجقة والفاطميين ، فتمكن الصليبيون من دخول القدس ، وانتهاك المقدسات

الإسلامية فيها ، وقتل سبعين ألف مسلم ، الواقع الذي سجَّله التاريخ الإسلامي بمداد أسود من الظلم ، الذي لا يعدله ظلم في تاريخ القدس يوم ذاك .

وقد قيّض الله الملك العادل صلاح الدين الأيوبي ، وذلك في ١١٨٧م ، بعد ما كسب الفوز في معركة حطين ، فدخلها وعامل أهلها معاملة العدل والخلق الجميل ، واستطاع أن يزيل الصليب عن قبة الصخرة ، وأن يقوم بتحصين المدينة ويهتم بعمارتها ، وكانت مدينة القدس في الخلافة العثمانية ضمن فلسطين في الحكم ، وقد اهتم بذلك السلطان سليمان القانوني ، ورغم مرور أدوار وتغييرات ساسية طارئة في الحكم العثماني بقيت مدينة القدس تحت أيدي العثمانيين ، حتى الحرب العالمية الأولى ، ثم في القرن العشرين الميلادي احتلتها بريطانيا عام ١٩١٧م ، وظلت القضية شائكةً ملتهبةً حتى قامت دُويلة إسرائيل على أرض فلسطين ، وسميت الدولة المزعومة بدولة إسرائيل ، وكان رئيس وزرائها الأول بن غوريون ، الذي أعلن بكل وقاحة بكون القدس الغربية عاصمةً لإسرائيل ، ومنذ ذلك الوقت نشبت الصراعات الفلسطينية اليهودية ، وعاش المسلمون الفلسطينيون بين فكي الرحى : العدو الإسرائيلي والعدو الأمريكي ، ولما حدثت كارثة العالم العربي في عام ١٩٦٧م ، خسر المسلمون العرب خسارةً كبيرةً ، يقول الإمام الندوي رحمه الله في مقال له بعد هذه الكارثة :

" أصبح المسلمون في (٢٩ من صفر ١٣٨٧هـ من الهجرة ، ٩ حزيران ١٩٦٧م) في كل بقعة من بقاع الأرض التي يسكنونها ، لا يرفعون رؤوسهم حياءً ، ولا يواجهون مواطنيهم وجيرانهم في الشوارع والطرقات والمحافل ، ذلةً ومهانةً قد خننقتهم العبرات ، فهم يغالبونها ، وجثمت إسرائيل على مراكز هامة استراتيجية من بلادهم العربية المقدسة ، واستولت على مدن في أرضهم ..... وأدهى من كل ذلك وأمرّ أن اليهود قد استولوا على القبلة الأولى ، وثالث الحرمين الشريفين ، المسجد الأقصى المبارك ، الذي كان منه الإسراء ، وكان ذلك لأول مرة منذ ألفي سنة باعتراف ربيهم الأكبر ، وكان أول يوم لم يصل فيه المسلمون الجمعة في المسجد الأقصى منذ ثمانية قرون بعد استعادة صلاح الدين الأيوبي من الصليبيين ، فكانت هذه الجمعة يوماً مشئوماً ، لم يعرف المسلمون في أنحاء العالم يوماً أشأم منه منذ قرون ، ففي كل عين دمعة ،

وفي كل صوت حزن وشجى ، وفي كل بيت حداد ومأتم ، في كل مجلس عزاء ورثاء " (المسلمون وقضية فلسطين : ٤٥) ، ثم تفاءل الإمام الندوي بعنوان : العاقبة للعرب والمسلمين : وهو يقول : " وما ثبت في التاريخ الإنساني من أن الشعوب والأمم إنما تحيى بالرسالات التي تحتضنها ، والغايات الكريمة التي تدعو إليها ، والفضائل التي تكافح في سبيلها ، وما تحمل من إفادة ونافعية وغناء للجميع ، وما نبه عليه القرآن الحكيم : (فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلأَرْضِ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلأَمْثَالَ) [الرعد : ١٧] ..... ثم يقول : إن كل ذلك يحتم أن اليهود الذين يتحدون الحقائق والطبايع والسنن والقوانين والغايات الكريمة التي خلق الله لها هذا الكون لا يمتعون بفترة طويلة من السيادة والسيطرة والغلبة والقوة ، ولا يمكنون من تحقيق جميع آمالهم وأحلامهم ومشاريعهم ومخططاتهم الهادمة المدمرة ، وسينتصر أهل الحق وحملة الرسالة العالمية الخالدة ، التي تعطف على الإنسانية كلها ، وتساوي بين الشعوب والأمم ، وتنتصر للحق أينما كان ، وتحارب الظلم أينما وجد ، يعيشون للإنسانية وبالإنسانية ، ولا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً " (المصدر نفسه) .

إن طوفان الأقصى الذي تقوده حركة حماس خلال هذه الآونة ، والذي تنشر أنباؤه في الصحف والمجلات ومواقع التواصل الاجتماعي ضد مظالم واضطهادات إسرائيل من أكثر من خمس وسبعين سنة ظل مأثرة كبيرة في صفحات التاريخ ، وهذا الطوفان وإن استشهد فيه آلاف من المواطنين الفلسطينيين ، وأسفر عن آلاف من الجرحى ، ولحق بغزة من الخسارة الظاهرة من تدمير البيوت والمستشفيات والمدارس والمساجد والشوارع ، لكنه خيَّب آمال إسرائيل التي كانت تحلم بالسيطرة على الأرض المقدسة بكاملها وتطبيع العلاقات مع الدول المجاورة الأخرى ، ولم تتحقق آمالها ، وسيخيب في مستقبل عاجل بإذن الله بخسارات تلو خسارات ، ويومئذ يفرح المؤمنون بِنَصْرِ ٱللَّهِ يَنصُرُ مَن يَشَآءُ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ [الروم : ٥] .

والله يقول الحق ، وهو يهدي السبيل .

سعيد الأعظمي الندوي
١٥/جمادى الأولى/١٤٤٥هـ
٣٠/نوفمبر/٢٠٢٣م

الإسلام والعلم الحديث

الإمام الشيخ السيد أبو الحسن علي الحسني الندوي (رحمه الله)

[محاضرة ألقاها الإمام الندوي بماليزيا ، أمام نخبة من علماء وأساتذة العلم الحديث ، ومجموعة كبيرة من أساتذة الجامعة وطلابها ، وذلك في ٧/ أبريل ١٩٨٧م – التحرير]

إخواني أساتذة الجامعة وطلبتها والدارسين فيها ! تعلمون جميعاً ، بل يؤمن كلكم أن القرآن هو كتاب الله المنزل من السماء ، وهو كتاب عقيدة وعبادة ، وهو الكتاب الذي يربط الخلق بالخالق ، ويبين للخلق كيف يُرضون الخالق ، وكيف يتقربون إليه ، وكيف ينالون رضاه ، ويستحقون رحمته ، لذلك فإن القرآن ليس كتاب هندسة ، ولا كتاب صناعة يعلِّم الصناعات ، أو يشير إلى العلوم التكنالوجية ، إنه لا يذكر فقط أنَّ الله خلق الزجاج ، وخلق الحديد ، لا بل يقول : (وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ) ، إنَّ هذا التعبير ، ونسبة الفعل إلى الله تبارك وتعالى تدل على أن للحَديد أهمية ومكانة ، ثم من المعلوم أن الحديد يُستخرج من المعادن ، ويولد ، ويتكوّن في طبقات الأرض ، ويُستخرج من المعادن ، فكيف قال الله تعالى: (وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ) [الحديد : ٢٥] معنى ذلك أن قدرة الله تناولت الحديد ، واتجهت إلى الحديد ، فخلقه الله في كمية كبيرة ، وفي قوَّةٍ عظيمة ، ولفائدة جليلة ، وفي نفع عام ، فإن الله سبحانه يضيف صيغة الإنزال إلى الكتب السماوية وإلى النعمة الكبيرة ، ولكن نفس التعبير جاء للحديد ، فقال : (وَأَنزَلْنَا الحديد) [الحديد : ٢٥] يعني : كان وجود الحديد بإرادة الله تعالى ، وإرادته عالية قاهرة غالية ، وقادرة على كل شيئ ، فالتعبير يدل على أن للحديد أهمية ، ومكانة ، وأنه شيئ قد اتجهت إليه إرادة الله تبارك وتعالى ، فخلقه كأنه أنزله من السماء ، فيقول : (وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فيه بَأْسٌ شَدِيدٌ) [الحديد : ٢٥] وهذا تعبير قرآني ، ولي مشاركةٌ باللغةَ العَربية ، كَما أشار إلى ذلك الذي تولى تعريفي ، وذكر أساتذي ، وأكثرهم من العرب ، ولكني أقول بسبب معرفتي للغة العربية وشغفي بها : إنَّ التعبير : (فيه بَأْسٌ شَدِيدٌ) [الحديد : ٢٥] هذا تعبير

قرآني معجز ، ومهما قيل : فيه بأس شديد تصنع منه الأسلحة ، تصنع منه الآلات ، تصنع منه المفاتيح ، ولكن لم يُفد شيئاً من هذا المعنى الذي في قوله تعالى : (فيه بَأْسٌ شَدِيدٌ) [الحديد : ٢٥] ، لأن كلمة البأس بليغة جداً ، وجامعة ، تَشمل الحروب ، وتشمل الدفاع ، وتشمل ما يمنع ، وما فيه شوكة ، وصولةٌ ، وقوة ، ولذلك قال : (وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فيه بَأْسٌ شَدِيدٌ) [الحديد : ٢٥] ثم قال : (وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ) [الحديد : ٢٥] ، فَجَعلها نكرة ولم يذكر منافع خاصة ، ولو ذكر منافع خاصة كان خاصة بعصر دون عصر ، وبلد دون بلد ، ولكن مهما تقدم علم التكنالوجيا ، ومهما تقدَّم علم الصناعة ، ومهما تقدَّم فن الحرب والاستراتيجية ، فإنَّ الآية تشمل كل هذا ؛ لأنَّ الله يقول : (وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ) [الحديد : ٢٥] ، لأنَّ الفوائد لم يحصرها الله تعالى ، ولم يعدها عداً ، فهذه قطعة قرآنية رائعةٌ تستحق التأمل ، ونحن نعرف ما نشتغل به ، فإذا كانت بيئتنا حسنة ، وإذا كانت جامعة تكنالوجية في أي بلد أنشأها المسلمون ليكونوا أقوياء ، ليكونوا علماء ، ليكونوا عارفين بأسرار الله تبارك وتعالى ، أسرار قدرة الله تعالى ، ويستعملوها لصالح الإنسانية ، ويستخدموها لسعادة البشرية ، فيكون ذلك في محله .

لقد كان موقف رسول الله صلى الله عليه وسلم نفس موقف القرآن من العلوم ، ومن الطاقات ، ومن الوسائل والآلات ، وهو أول نبي وآخر نبي كان يعرف قيمة العلم ، وكان حريصاً على أن يتعلم الناس ، ويقرؤوا ، ويكتبوا مع أنه كان أمياً ، ولكنه كان حريصاً على أن يتعلم المسلمون ، فقد جاء في السيرة النبوية والتاريخ الإسلامي أن أسارى بدر منهم من كان لا يملك ما يفتدي به ، فجعل الرسول صلى الله عليه وسلم فديته أن يعلم الكتابة عشرة من الأطفال ، ويعلم عشرة من المسلمين ، يعلمهم الكتابة والقراءة ، وكان يعرف قيمة الأسلحة الحربية ، وقيمة ما يدافع به الإنسان عن نفسه ، وقد جاء في حديث معناه أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال : " ارموا بني إسماعيل ، فإنَّ أباكم كان رامياً " . وقال : " من علم الرمي ثم تركه فليس منا " أو قال : " قد عصى " .

فليس من الدين ، وليس من الزهادة ، وليس من التقدم الروحي ، وليس من الصلاح والتقوى أن يكون المسلم جاهلاً ، وأن يكون المسلم عازلاً ضعيفاً ، وقد جاء في الحديث : " المؤمن القوي خير من المؤمن

الضعيف ، وفي كل خيرٍ " . ولكن القوي خير من المؤمن الضعيف .

أنا مسرور جداً أن في هذا البلد المسلم ، وفي هذا الشعب المسلم تقوم مثل هذه الجامعة التي تعنى بالعلوم التكنالوجية ، ولكن المهم يا إخواني أن نتعلم ذلك بنية صالحة ، أن تكونوا مخلصين في تعلمنا ، حتى يكون لنا أجر تعلم العلوم النافعة التي تنفع الناس في الدنيا والآخرة ، فالذي ينوي أن يتعلم هذا العلم ، ويدرس في هذه الجامعة ليخدم المسلمين ، ويخدم الإسلام ربما يكون أفضل من ذلك الذي يتعلم في جامعة دينية خالصة ، ولكن نيته أن يباري بعلمه العلماء والسفهاء ، ومن الأحاديث المشهورة : " إنما الأعمال بالنيات ، وإنما لكل امرئ ما نوى ، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله ؛ فهجرته إلى الله ورسوله ، ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها ، أو إلى امرأة ينكحها ، أو يتزوجها فهجرته إلى ما هاجر إليه " . وإن الإمام البخاري أمير المؤمنين في الحديث محمد بن إسماعيل افتتح كتابه بهذا الحديث ، فأول شيئ : النيَّة ، يعني : أن تكون نيتكم ألا تتعلموا هذه العلوم لتملؤوا بطونكم ، وتتهيأ لكم بها وسيلة المعاش ، أو تولوا وظيفة فقط ، هذا صحيح جائز مباح ، ربما يكون فيه الثواب ، ولكن انووا أنكم ستنفعون بهذه العلوم التكنالوجية المسلمين والنظام الإسلامي والمجتمع الإسلامي ، فالشيئ الأول والمهم : النية . كان المسلمون أساتذةً في جميع العلوم ، كانوا أساتذة العالم في علم الطبيعة ، وفي علوم الرياضيات ، وفي الكيمياء ، وكان منهم حكماء ، وفلاسفةٌ مثل الشيخ أبي علي ابن سينا ، وابن الهيثم ، هؤلاء كلهم كانوا أساتذة الغرب ، ومن الأندلس الإسلامية العربية التي يسمونها الآن أسبانيا ، من أسبانيا المسلمة العربية انتقلت العلوم والتيار العلمي والفكري إلى الغرب كله ، والمسلمون هم الذين قدموا للعالم علم الاستقراء كما اعترف به علماء الغرب ، كلهم يعترفون أن " باكون Bacon " الذي ينسب إليه أنّه هو الداعي إلى الاستقراء كان تلميذاً على الذين خرجوا من أسبانيا ، والذين درسوا في أسبانيا ، وعلم الاستقراء خلق هذا التيار العلمي ، فأقبل الناس على الاطلاع على الجزئيات وبالاستفراء تقدمت أوربا ، ووصلت إلى ما وصلت ، وقد اعترف بذلك خبراء التاريخ وخبراء العلم ، وقالوا : إنَّ أوربا إنما حدثت فيها ثورة عقلية علمية بعد ما أخذت علم الاستقراء من الأساتذة العرب ، فكان

المسلمون الأساتذة ، وبقي العالم عالةً عليهم قروناً كثيرةً ، كان علماء الغرب عالةً على المسلمين يقتبسون منهم العلوم ويتلقون منهم التجارب والخبرات ، ولكن بعد ذلك حدث غير ذلك ، يعني : انقلب التيار ، وأصبح المسلمون سرى فيهم الكسل ، ودب إليهم النوم ، ودبت إليهم الغفلة ، وصاروا ملوكاً مترفين ، وأغنياء وأمراء ، فانتقلت الإمامة في العلوم النافعة المفيدة من الشرق المسلم المؤمن بالله تبارك وتعالى إلى الغرب الملحد ، وهذا كان شؤماً في حق الإنسانية ، ولما تولّى الغرب الرئاسة في العلوم كان من واجب المسلمين أن يتجهوا إلى هذه العلوم ، فإنَّ الحكمة ضالة المؤمن ، حيث وجدها فهو أحقُ بها ، كما جاء في الحديث ، فالمسلمون أحق بهذه الحكمة ؛ لأن يستخدموها لسعادة الإنسانية ، ولصالح العالم كله ، ليس لصالح أوربا ، ولا لصالح المعسكر الشرقي والمعسكر العربي فقط .

فلما انتقلت الإمامة إلى الغرب كان من واجب المسلمين في البلاد الإسلامية المجاورة لأوربا أن يتعلموا من الغرب ما ينفعهم ويصبغوه بصبغة إسلامية ، فيخضعوه لصالح المسلمين ، ولغايات صالحة ، لا ليتنعموا . ويربحوا ، ويجلبوا أموالاً كثيرة ، وكان لا بد أن تكون لهم شخصية مستقلة في مجال هذه العلوم كذلك ، فيجب أن يكون عندنا بارعون أصحاب اختصاص ، يجب أن يكون عندنا من يصنع القنبلة الذرية ، لأن هذا يعد من قبيل (وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِن قُوَةٍ وَمِن رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لا تَعْلَمُونَهُمُ ، اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ) [الأنفال : ٦٠] ، فيجب علينا أن نعد للأعداء ما يرهبون به ، ولا يجرؤوا علينا ، فأنا مسرور جداً بقيام مثل هذه الجامعات في العالم الإسلامي إذا كانت في باكستان ، إذا كانت في مصر ، إذا كانت في السعودية فعشر مرات أهلاً وسهلاً ، وإذا كانت في بلدنا المسلم هذا ، في ماليزيا فمرحباً ، وأنا مسرور كذلك ممن قد انتسبوا إلى هذه الجامعة ، وهم يأتون إلى الجامع أيضاً ، جمعوا بين الجامعة والجامع ، وقلما يوجد من يجمع بين الجامعة والجامع ، والذين يجمعون بين الجامعة والجامع هم الذين يعملون بقول الله تعالى : (يَقُولُ ربنا آتنا فِي الدنيا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ) [البقرة : ٢٠١] فنعم هذا ، حينما دخلت هذا المسجد في صلاة المغرب وجدت هنالك أن أكثر المصلين من طلبة الجامعة ، فما أحسن إذا اجتمع

الدين والدنيا معاً !

وأرجو أن يوجد هنا في هذه الجامعة التعاون للجامعة مع الجامع ، فأنا مسرور بهذه الرؤية ، وأرجو أن تكونوا بارعين فائقين حتى تنالوا " جائزة نوبل " وهذا يكون بشارة للمؤمنين ، ويفرح المسلمون في أنحاء العالم على أن ينال المسلم الجائزة ، ولا نعرف في هذا إلا اسماً واحداً ، أو اثنين ، فيجب أن يناله عشرات من المسلمين في العلوم الرياضية ، في الطاقة الذرية ، وفي العلوم الكيمياوية ، وأنا أحثكم يا أبنائي ! يا تلاميذ الجامعة على أن تخترعوا شيئاً جديداً ، وأن تفتحوا منفذاً جديداً في العلوم ، فيكون لكم مركز عال ممتاز حتى يستحق بعض زملائكم أن ينالوا هذه الجائزة .

هنالك في العالم الإسلامي مؤلفون ، هنالك أدباء يعرف فضلهم العلماء الكبار في أوربا وأمريكا ، هنالك علماء الدين ، هنالك الفقهاء ، ولكن العباقرة المجتهدين في العلوم العصرية قليلون نادرون ، فأرجو أن تتخرجوا من هذه الجامعة حتى تشرفوا العالم الإسلامي والمسلمين في شبه القارة الهندية ، إذا سمع غير المسلمين في بلادنا مثلاً أنَّ شاباً مسلماً في ماليزيا نال جائزة نوبل ، فهم ينظرون إلى المسلمين في الهند باحترام وتقدير ، لأنَّه فرد من أفراد هذه الأمة ، فلا تستهينوا بقيمتكم ولا بنيتكم ، فإنَّ العبرة بالنية ، والإخلاص ، فإذا كنتم مخلصين في دراستكم لهذه العلوم تنالون من اللّٰه تبارك وتعالى في هذه الدنيا وفي الآخرة من الأجر ما يناله كثير من العلماء والزهاد .

أكتفي بهذا ، وأدعو اللّٰه لكم بالنجاح ، وأن يشرف بكم الإسلام ، وأن يبيض وجه المسلمين ، وهم قد فقدوا الشيئ الكثير مما كانوا يتمتعون به من شرف ومكانة وعزَّةٍ ، فاللّٰه على كل شيئ قديرٌ ، والنية الخالصة مع بذل المجهودات سر النجاح ، قال اللّٰه تعالى : (وَأَن لَّيْسَ لِلإِنسان إِلا مَا سَعَى . وَأَنَّ سَعيَه سَوْفَ يُرَى . ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاء الأَوْفَى) [النجم : ٣٩ – ٤١] يعني : ثلاثة أشياء ليس للإنسان إلا ما سعى ، فالموئل الأول هو السعي ، ثم لم يقل إن سعيه سيرى ، بل قال : سوف ، وسوف للتأكيد ، فإذا لم يكن النجاح في وقت قريب فلا تيأسوا ، ثم قال : إنه سيجزيهم الجزاء الأوفى ، ولم يقل الجزاء فقط بل الجزاء الأوفى ، فتدبروا .

أكرمنا اللّٰه بالتوفيق والإخلاص والسداد ، والسلام عليكم ورحمة اللّٰه وبركاته .

قصة صاحب الجنتين ومآل الجهود الإنسانية

(الحلقة الثانية الأخيرة)

الشيخ السيد محمد الرابع الحسني الندوي رحمه الله

تعريب : محمد فرمان الندوي

خطأ الفكرة :

وكان من فضل الله تعالى أن أثمرت الجنتان كثيراً ، فقال صاحب الجنتين لصاحبه وهو يحاوره عن عقاراته وجناته : أنا أكثر منك مالاً ، وأعز نفراً ، وهؤلاء يتعاونون في جميع شئوني ، وهم ماهرون ، وأكثر قدرة وموهبة ، وحينما دخل صاحب الجنتين الجنة فلا ينسب شيئاً إلى الله ، وهو يعتدي على نفسه ، وكان عليه أن يشكر الله تعالى ، ويقول : الحمد لله على هذه الجنات والبساتين ، وما شاء الله ، ما أحسنها ، وما أجملها ، لكنه لم يقل مثل هذه الجمل ، الواقع أنه كان يظلم نفسه ، وإن كفران الله مرادف للاعتداء على النفس ، وتكون مغبته وخيمةً ، فدخل الرجل الجنة وهو يعتز بما له من مال ومتاع ، وهو يقول : هذه جناتي ، وإنني أرى أن هذه الكثرة الكاثرة من المال والمتاع لا تنتهي أبداً ، وتستمر إلى يوم القيامة ، وكما أظن أن الساعة لا تقوم ، فإذا كان النظام الدنيوي يستمر بكل قوة وفخفخة ، فمتى تقوم الساعة ، وإذا سلّمتُ أن القيامة تقوم ، ورجعت إلى ربي لأجدن خيراً منها منقلباً .

موعظة صديق متدين :

وكان لصاحب الجنتين صديق متدين ، لا يملك من المال إلا قليلاً ، وكانت عنده جنة صغيرة ، إنه قال له بعد ما سمع حوار صديقه : أكفرتَ بالذي خلقك من تراب ، ثم من نطفة ، ثم سوّاك رجلاً ، ولو شاء الله لجعلك مخلوقاً آخر ، وخلقك حيواناً أرذل وأخس ، لكنه خلقك من تراب ، وجعل ذريتك تستمر بالنطفة ، وحينما ولدت من بطن أمك ،

فكيف كان حالك ؟ ، لكنك أصبحت إنساناً رويداً رويداً ، فاعرف مكانتك ، وتُب إلى الله من جميع الذنوب والآثام ، ثم أردف ذكر عقائده وأفكاره أنه يؤمن بالله ، ولا يشرك معه أحداً ، فينسب كل شيئ إلى الله ، ولا يؤمن بأن أحداً يضره وينفعه سوى الله تعالى ، وبعد ما ذكر هذا الصديق موقفه قال وهو يثير غيرة صاحبه : لولا إذ دخلت جنتك قلت ماشاء الله ، لا قوة إلا بالله ، فكان عليه أن يقول هذا ، ويشكر الله تعالى على ما أعطاه من مال ومتاع .

ثم قارن بين موقفه وموقف صديقه أنك ترى أني أملك مالاً قليلاً ، وليس لي عدد كثير من الأولاد والأتباع ، ولا أستطيع أن أنجز عملاً عظيماً ، وليس لي مساعدون في هذا العمل ، وأنا رجل فقير ، لكن أؤمن بأن ربي قادر على أن يمنحني جنةً خيراً من جنتك ، فإنه على كل شيئ قدير ، كذلك إن ما ترى من جنات وبساتين ، إذا شاء ربي أرسل عليها حسباناً من السماء ، فتصبح صعيداً زلقاً ، فلا قيمة لقوتك ومالك وضيعتك ، وكل شيئ هالك إلا وجهه ، فانسب كل شيئ إلى الله ، ولا تغتر بقوتك وموهبتك ، يمكن أن ينزل عليها طائف من الله ، فيكون هشيماً مكسوراً ، أو أرضاً بلقعاً ، أو يذهب ماء الأض غوراً ، أو تجف البحار ، الواقع أن الله إذا شاء جفف مياه الأرض ، أو أتلف البساتين والحدائق بعواصف هوجاء ، وأعاصير نكراء ، فلا يدفعها الإنسان ، ولا ينال شيئاً من قوته وموهبته ، فاعرف هذه الحقيقة .

نزول العذاب :

حينما لم يتغير موقف صاحب الجنتين بعد نصحة صديقه المتدين ، فأرسل الله إليه طائفاً من السماء للاعتبار والاتعاظ منه في الدنيا ، فأحيط بثمره ، وتعرضت جناته للتلف والضياع ، فلما رأى صاحب الجنة هذا المنظر المخزي بدأ يقلّب كفيه على ما أنفق فيها (وقد استعمل القرآن الكريم بهذه المناسبة تعبير : يقلب كفيه) معناه أنه كان متحيراً ومتحسراً على ما فات ، وجعل يقول : هاه هاه ، قد ضاع كل ما أنفقته في جناتي هذه ، وكانت جنته خاويةً على عروشها ، وبعد ما رأى عاقبته هذه اضطر إلى أن يقول : يا ليتني لم أشرك بربي أحداً .

ما هو الشرك ؟

الشرك هو السجود لغير الله تعالى ، وعبادة الأصنام واعتقادها نافعةً وضارةً ، لكن هذا الشرك هو في العبادة ، وينخدع الإنسان من كلمة الشرك أنها تكون في العبادة فقط ، لكن الحقيقة تقول : إن اعتقاد نفس أخرى مؤثرة في شيئ نوع من الشرك أيضاً ، فإشراك أحد في قدرة الله تعالى ، واعتقاد أنه يملك قدرةً قليلةً أو كثيرةً مثل قدرة الله تعالى يُعد في الإشراك بالله .

وأحياناً يكون الشرك في الأشياء المادية أيضاً ، فمثلاً يقول الإنسان : إني دبرت أمراً ، فأنجح فيه ، فلا بد للإنسان من فهم هذا الواقع أن التدبير إذا لم يوافق قدر الله تعالى فلا يكون الإنسان ناجحاً ، وكذلك يقول الإنسان : إني أنفقت مالاً كثيراً ، وهو ينفعني ، لكن هذا الإنفاق لا ينفعه إلا إذا أراد الله تعالى ، فلا بد للإنسان أن يضع نصب أعينه مشيئة الله تعالى لا جهده وسعيه ، فهناك أنواع كثيرة للإشراك بالله ، وهي تعرف بالشرك الخفي ، فإدراك الشرك الخفي والتغلب عليه ليس سهلاً ، لأن الإنسان يعتبر التدابير مؤثرةً ، وينسى هو أن الأصل في كل شيئ رضا الله ، الذي لا يتم أمر بغيره .

الله هو الشافي :

كان خالي الأكبر الطبيب السيد عبد العلي الحسني (رئيس ندوة العلماء سابقاً) من كبار الأطباء الإخصائيين ، وكان نقياً تقياً ، مؤمناً بالله كامل الإيمان ، مرةً قص علينا قصةً عجيبةً أنه جاء إليه مريض من نوع جديد ، فوصفت له دواءً بعد تفكير ، فأكل المريض الدواء ، فشُفي من مرضه ، ثم جاء مريض آخر ، هو يشكو نفس المرض الذي كان يشكوه المريض السابق ، فخطر ببالي أن أصف له نفس الدواء الذي وصفته للمريض السابق ، فأعطيت المريض نفس الدواء ، لكنه لم يشف ، ثم قال خالي رحمه الله تعالى : حينما وصفت الدواء للمريض الأول فاعتقدت أن الله تعالى إذا شاء ، نفعه الدواء ، لكن في المرة الثانية وثقت بالدواء ، بحيث إنه نفع المريض الأول ، فينفع المريض الثاني حقاً ، لكن الله تعالى أثبت بقدرته أن ظنك خاطئ تماماً ، بل الله

هو الشافي .

من الخطأ البين أننا نعتبر الوسائل أصلاً ومؤثرةً في معظم الأوقات ، رغم أنه لا بد من الاعتناء بهذا الجانب أن كل ما يُرى في الظاهر ليس أصلاً ، بل الفاعل المؤثر في كل شيئ هو الله تعالى ، وهو يقدِّر الأمر ، ولا تكون الوسائل نافعةً إلا إذا شاء الله ، مثلاً أننا نأكل أحياناً بالملعق ، فإذا لا تُرى يد الإنسان فيظن الإنسان أن الملعق يوصل الطعام إلى الفم ، رغم أن الملعق ليس هو الأصل ، بل تختفي وراءه مشيئة الإنسان وإرادته ، فإذا فقدت يد الإنسان فلا اعتبار للملعق .

التوكل على الله :

أخبر الله تعالى بقصة صاحب الجنتين بأن الإنسان إذا توكل على الله أفلح ونجح ، وإذا اعتمد على مساعيه وجهوده ، وعلى كل ما بذل من مال ومتاع ، واعتمد كذلك على رجال العمل ، فيخشى أن يخيب الله تعالى جميع البرامج والمخططات له ، ويعاقبه في الدنيا ، وهذا واقع ملموس أن الله لا يعاقب في الدنيا عاجلاً ، لأنه جعل الدنيا دار الامتحان ، فإذا عاقب في الحياة الدنيا فكيف تكون هذه الدار دار امتحان ، ولأنه إذا عوقب رجل عقاباً شديداً فيتنبه رجل آخر ، ولا يخطئ خطأً مثله ، فقد أخّر الله العقاب إلى يوم القيامة ، وجعل باب التوبة مفتوحاً قبل ذلك ، فإذا تاب الإنسان من معاصيه وذنوبه تقبل الله توبته ، وإلا يجد نكال أعماله في الآخرة ، ويرى المجرم بأم عينيه كل ما عمل من جرائم في الدنيا ، فيكون على يقين بأنه سيعاقب ، وفقنا الله لما يحبه ويرضاه ، وجعل إيماننا قوياً .

الرضا بالقضاء ، العمل للآخرة :

ظن صاحب الجنتين أن جناته وجدت بمساعيه ، وتحصل له منافعها كثيراً ، وكانت هاتان الفكرتان على خطأ ، لأن الله جعل نظام الدنيا ، وهو يرى من ظاهره أنه ينحصر في الوسائل ، لكن الله أودع في الوسائل تأثيراً ، فهي توفِّر للإنسان طمأنينةً وسعادةً في الدنيا ، وقد أمرنا الله تعالى باختيارها ، ولم يأمرنا بترك الأسباب ، وبالتواكل على الله تعالى ، مرةً قال الصحابة رضي الله عنهم : يا رسول الله ! بيِّن لنا

ديننا كأنا خلقنا الساعة ؟ فقال عليه الصلاة والسلام : ما منكم من أحد إلا قد كتب مقعده من الجنة ، ومقعده من النار ، قالوا : يا رسول الله ! أفلا نتكل على كتابنا وندع العمل ، قال : اعملوا ، فكل ميسر لما خلق له (صحيح مسلم ، كتاب القدر ، باب كيفية خلق الآدمي ، رقم الحديث : ٦٩٠٣) ، ومرةً قال رجل للنبي صلى الله عليه وسلم : أرسل ناقتي وأتوكل ؟ قال : اعقلها وتوكل (سنن الترمذي : آخر أبواب صفة القيامة : ٢٧٠٧) ، فعُلم من هذا الحديث أنه ليس من المناسب أن يفك الراعي حبل الإبل ، فتسرح في الأرض حيثما شاءت ، بل عليه أن يقيدها ويعقلها ، وكلمة عقال تستعمل لشد رجلي الإبل ، وهي مشتقة من العقل ، معناها الشد والعقد ، وعقل الإنسان يمسك بوجوده فيسمي بالعقل ، أما العقال التي تستعمل على الرأس لئلا تسقط الشماغة اشتقت من عقل الإبل ، وكان العرب يشدون رجلي الإبل بالعقال ، وإذا فكوا الإبل عقدوا بها شماغة الرأس ، وقد انتهى زمن عقد الإبل ، لكنه أصبح عقد العقال على الرؤوس موضةً حضاريةً .

أمرنا الله تعالى في كل حال بأن نختار الوسائل المادية ، لكن لا نعتمد عليها ، بل نعتمد على الله تعالى ، لأن الوسائل هي الوسائل ، ولا يسري فيها التأثير والقوة إلا من الله ، فالله قادر على أن يسلب من الوسائل فعاليتها وتأثيرها ، أو يمنح الإنسان أكثر من التدابير والوسائل .

فرق بين الإنسان والحيوان :

ضرب الله تعالى في القرآن الكريم أمثلةً تبين أن الله يكتشف بالوسائل أحياناً أموراً تساوي الآيات البينات ، فأمر الناس باختيارها ، وقدم لهم فوائدها ، وأحياناً سلب منها تأثيرها ، فاختيار الوسائل في الدنيا من مميزات الإنسان ، فلا يشاركه فيها حيوان ، لأن الحيوان لا يمكن أن يكتشف أو يشير على أحد ، أو لا يعيش كما يعيش الإنسان ، بل كما خلقه الله يستمر في عمله ، فهو مخلوق مسير ، وهذا هو تسبيحه ، وهو يعد من عبادة الله ، قال تعالى : (وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدَهِ وَلَكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ) [الإسراء : ٤٤] .

إن ما أمر الله به الإنسان من اختيار الوسائل ، فهو لبيان أن

الوسائل خلقها الله ، وهي التي ننجز بها أعمالنا ، فأحيانا نستعمل بعض الأشياء كثيراً حسب حاجياتنا ، وأخرى نستعمل بعضها قليلاً ، مثلاً نأكل الطعام بمقدار أوفر للشبع وإزالة الجوع ، وفي مقابل ذلك نتناول الدواء بمقدار قليل ، لأن الله وضع تأثيراً كثيراً في مقداره القليل ، فالدواء لا يملك تأثيراً في نفسه ، فلا بد أن يؤمن كل إنسان بأن التأثير الذي أودع الله في الأشياء هو من صنع الله تعالى ، وليس فيه تدخل لأحد من البشر .

حدود اختيار الوسائل :

توجد في السيرة النبوية أمثلة لاختيار الوسائل وترك الأسباب ومنافعها ومضارها ، وفي غزوة أحد عيَّن رسول الله صلى الله عليه وسلم نفراً من الصحابة رضي الله عنهم ، وكان هذا النفر يراقب على أن لا يهجم الأعداء من وراء الجبل ، لكن لما انتصر المسلمون على الكفار ، وبدأ الكفار يولون منهزمين ، وتبعهم المسلمون ، ثم بدأ عمل جمع الغنائم ، ففكر هؤلاء النفر أنهم عينوا في هذه الجبهة لئلا يأتي الأعداء من وراء الجبل ، وإنهم قد ولوا مدبرين منهزمين ، فلا حاجة إلى البقاء هنا ، فننضم إلى المسلمين ، وهنا تجمع الغنائم ، فنشاركهم فيها ، فذكرهم أميرهم ، وقال لهم : لا بد لنا من البقاء هنا إلى نهاية الغزوة ، لكن أعضاء النفر لم يرضوا به ، وظنوا أن ليس للمشركين رجعة ، وذهبوا إلى جمع الغنائم ، انتهز الكفار هذه الفرصة ، وكروا كرة من وراء الجبل ، وكان الهجوم شديداً من الأمام ومن الخلف ، فانهزم المسلمون في ظاهر الأمر ، واضطروا إلى الفرار رغم نجاحهم في أول وهلة ، وبقي رسول الله صلى الله عليه وسلم وحيداً ، ولم يسلم هو أيضاً من أذى المشركين ، وأصابته الحجارة ، وكسرت رباعيته ، ووقع لشقه في حفرة ، فاستشهد عدد من الصحابة رضي الله عنهم ، فكان هذا خسارة وقعت للمسلمين نظراً إلى ترك الجبهة التي عين فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسين رجلاً من الصحابة رضي الله عنهم ، وقد نبه الله المسلمين على هذا الخطأ فقال : (وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِى ٱلأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِّنْ بَعْدِ مَآ أَرَاكُمْ مَّا تُحِبُّونَ مِنْكُمْ مَّنْ يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا

وَمِنْكُمْ مَّنْ يُرِيدُ ٱلآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ . إِذْ تُصْعِدُونَ وَلاَ تَلْوُونَ عَلَىٰ أَحَدٍ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِيٓ أُخْرَاكُمْ فَأَثَـٰبَكُمْ غَمّاً بِغَمٍّ لِّكَيْلاَ تَحْزَنُواْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلاَ مَآ أَصَابَكُمْ وَٱللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ) [آل عمران : ١٥٢ – ١٥٣] .

كذلك أخبرنا الله تعالى في غزوة حنين بأن الاعتماد على الوسائل لا يُجدي نفعاً ، وكان عدد المسلمين في الغزوة كثيراً ، وفي مقابلهم كان الكفار قليلاً ، فظن المسلمون أننا لن نُغلب اليوم من قلة ، لكن الله قلب النتائج ، وانهزم المسلمون ، قال الله تعالى : (لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِى مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئاً وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ) [التوبة : ٢٥] ، فكانت غزوة أحد مثالاً لترك الوسائل ، وكانت غزوة حنين مثالاً للاعتماد الزائد على الوسائل .

لا بد للمسلمين أن يعتقدوا أن التدابير نوع من الوسائل التي خلقها الله تعالى ، وأمرنا باختيارها ، فهي تعمل عملها ، لكن يمكن أنها تخفق أحياناً ، فإذا كانت هناك عقيدة غير ذلك عادت النتائج غير مرجوة ، إلا أن الله قد أمهل الكافر في الدنيا ، وليس له في الآخرة من نصيب ، فإنه يوفر للكافر وسائل الترف والبذخ كثيراً ، ليتنعموا بها في الحياة الدنيا ، ويتمتعوا بزخارفها ، ويلبسوا ويأكلوا ما يشاؤون ، لكن المسلمين إذا عاشوا مثل الكافرين نزل عليهم العذاب الأدنى ، لأنهم يدعون بالإيمان بالله ، ويعتقدون الله قادراً مطلقاً على كل شيئ ، ثم يخالفون أوامره ونواهيه .

خطأ صاحب الجنتين :

ظن صاحب الجنتين أن ما اختاره من حكمة وتدبير في زروعه وبساتينه هو ثمرة جهوده ومساعيه ، وما حصل له من نعم وملذات ، كان من حنكته وتجربته ، فنهاه صاحبه عنه ، لكنه لم يعبأ بنهيه ، وبما أن صاحب الجنتين كان مسلماً ، وكان يخطئ في معرفة الوسائل وإدراك الحقائق ، فكشف الله عنه غطاء عينيه أنه يمكن أن يزرع زرعاً ، ويسقي ماءً ، أو يستأجر أجراء ، لكنه لا يدفع عنه العواصف والآفات السماوية ، فإن الله يملك لها قدرةً كاملةً ، ولم يعط الإنسان فيها أدنى

اختيار ، مثل : نزول المطر ، ووقوع الحوادث ، وهبوب الرياح ، فلا يمكن لإنسان أن يفعل شيئاً في هذا المجال .

فرق بين قدرة الله واختيار الإنسان :

إن ما خيَّره الله الإنسان له نطاق محدود ، وهو مخير في نطاقه ، وليس له قدرة في كل شيئ ، فلا اختيار له في الفصول والطقوس ، وكذلك كثير من الأشياء لم يجعل الله الإنسان فيها مخيراً ، وكما يقول مشايخنا الكبار : لا تقولوا : مُطرنا بسبب الفصول ، بل قولوا : أنزل الله المطر ، وثبت هذا من السنة النبوية كذلك ، فإن الله يرسل الرياح فتثير سحاباً ، ويذهب الملائكة بها ، فتمطر من السماء أمطار غزيرة ، قال تعالى : (ٱللَّهُ ٱلَّذى يُرْسلُ ٱلرِّيَاحَ فَتُثيرُ سَحَاباً فَيَبْسُطُهُ فى ٱلسَّمَآء كَيْفَ يَشَآءُ وَيَجْعَلُهُ كسَفاً فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ منْ خلاَله فَإذَآ أَصَابَ به مَن يَشَآءُ منْ عبَاده إذَا هُمْ يَسْتَبْشرُونَ) [الروم : ٤٨] وقال في موضع آخر : (وَهُوَ ٱلَّذى يُرْسلُ ٱلرِّيَاحَ بُشْرىً بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَته حَتَّىٰ إذَآ أَقَلَّتْ سَحَاباً ثقَالاً سُقْنَاهُ لبَلَد مَّيِّت فَأَنْزَلْنَا به ٱلْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا به من كُلِّ ٱلثَّمَرَات كَذَٰلكَ نُخْرِجُ ٱلْموْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ) [الأعراف : ٥٧] .

فإذا نزلت الأمطار على أرض فلا يكون نزولها صُدفةً من السحاب ، بل تُرسل من الله تعالى ، فتمطر ، وقد جعل الله نظامها في الظاهر بحيث تخفى هذه الأشياء ، وإلا كان امتحان طاعة الإنسان وعصيانه صعباً ، فالامتحان يكون في حالة ، وقع فيها الإنسان بين أمرين ، هل يدير هذا العالم قوة خافية أو يسير هذا النظام بالوسائل الظاهرة ، فإذا رأينا نار جهنم بأعيننا اقشعرت جلودنا ، واشمأزت آثار وجوهنا ولا نجترئ على شيئ ضد قدرة الله تعالى ، فلا يكون في هذه الحالة امتحان واختبار ، ويستمر امتحاننا إذا كان بعض أمورنا خفياً عن أعيننا ، ونعتقد أن كل ما أخبرنا به النبي صلى الله عليه وسلم حق ، فالإيمان بالله ، والإيمان بالرسل والإيمان بالملائكة والإيمان بكتب الله ، والإيمان بالقدر خيره وشره والإيمان بالآخرة من أساسيات إيماننا ، وهو أن نؤمن بهذه الأصول من القلب .

حقوق النبي صلى الله عليه وسلم على أمته

بقلم : الشيخ السيد بلال عبد الحي الحسني الندوي

تعريب : الأخ نعمت الله قاسم الندوي

لقد كانت البعثة المحمدية – على صاحبها ألف ألف تحية وسلام – ولادة جديدة للبشرية ، وصبحا مشرقا للعالم ، فقد قام سيد المرسلين محمد صلى الله عليه وسلم بإسعاد البشرية جمعاء بمنح عظيمة وعطايا جسيمة ، وأعلن لها بالمجد والعز والشرف والسعادة ، بعدما أصيبت بالذل والهوان والشقاء والحرمان . وإن فضله – عليه الصلاة والسلام – لا يقتصر على طبقة من طبقات البشرية أو على أمة من أمم العالم ، أو على العرب دون العجم أو على المسلمين دون غيرهم من أصحاب الديانات الأخرى ، بل تعم منته ومنحته وفضله ورحمته كل نوع من أنواع البشرية ، بل كل فرد من أفرادها .

فمن فضله – عليه الصلاة والسلام – على البشرية أنه بيَّن معنى عظمة الإنسان وكرامته ، فتلا عليها قول الله عز وجل الذي نزل عليه (وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا) [سورة الإسراء : ٧٠] . هذه الآية إعلان صارخ عن الكرامة البشرية ، وذلك أعظم نعمة وأكبر فضل سعد به البشر منذ وجوده ، ويُعد ذلك من مآثر محمد صلى الله عليه وسلم الكبرى وعطاياه العظمى لجميع الأنواع البشرية التي تنتشر على وجه الأرض ، ولم يشهد التاريخ الإنساني أكبر وأجل من هذا العطاء .

ومن فضله عليه الصلاة والسلام على البشرية أنه لقن الإنسان التائه الضال دروس التوحيد ، ليخرجه من عبادة بني جلدته الذين يشبهونه في الاحتياج إلى المأكل والمشرب ، وإلى غير ذلك من مرافق الحياة ، وليخرجه من عبادة الأشجار والأحجار الصماء البكماء ، وعبادة أشياء يخاف ضرها ويرجو نفعها ، إلى عبادة الله الواحد الأحد ، الذي يخلق و يرزق ، يحيي ويميت ، يقول الله عز وجل : (أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ) [سورة الأعراف : ٥٤] . ويقول : (شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ) [سورة آل عمران : ١٨] .

ومن فضله عليه الصلاة والسلام أنه أعلن بعد فترة من الزمن عاشها النوع البشري موزعا بين قوميات وجنسيات ، وأمم وقبائل وطبقات ،

أن الإنسان أخو الإنسان حسب التعاليم الأساسية لهذا الدين السماوي الخالد الأخير ، وأن جميع البشر واحد كما أن إلههم واحد ، وأن هذا الدين الذي جاء به إلى البشرية – التي عاشت منذ أمد بعيد مفرقة ومقسمة بين المالك والمملوك والسلطان والصعلوك والقوي والضعيف والغني والفقير ، وكانت في حاجة أكيدة إلى نظام يمنحها فكرة الوحدة الإنسانية ، ويقوم هذا الدين على دعامتين قويمتين ؛ هما وحدة الربوبية ووحدة البشرية ، فقام بالإعلان التاريخي العظيم أمام الجمع الحاشد من الطبقات البشرية ؛ متعددة الألوان والأجناس ، متنوعة المدن والبلاد ، متباينة الأسر والبيوتات : أيها الناس ! إن ربكم واحد ، وإن أباكم واحد ، ألا لا فضل لعربي على عجمي ، ولا لعجمي على عربي ، ولا لأحمر على أسود ، ولا لأسود على أحمر إلا بالتقوى ، إن أكرمكم عند الله أتقاكم . (رواه البيهقي في شعب الإيمان ٥١٣٧) .

وبهذا الإعلان التاريخي سما بالبشرية إلى درجة عظيمة من العز والشرف والسعادة التي لم تعرفها من قبل .

ومن فضله عليه الصلاة والسلام على البشرية أنه ردَّ إلى النساء اعتبارهن وكرامتهن ومنحهن من الحقوق ما حرمن ، كما أخرج الناس من ظلمات اليأس والتشاؤم المتراكمة إلى نور الأمل والتفاؤل اللامع ، وكانت حينذاك نظرية الفصل بين الدين والدنيا فقضي عليها ، وأزال ما كان بينهما من بون شاسع وبعد كبير . وجمع جمعاً متوازناً بين الدين والعلم ، وربط مصير أحدهما بالآخر ، يقول الله سبحانه وتعالى : (هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَابَ وَٱلْحِكْمَةَ) [سورة الجمعة : ٢] ، ويقول : (ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ) [سورة العلق : ١] .

ومن فضله عليه الصلاة والسلام أنه فجَّر ينابيع العلم الجافة ، وأعلى منزلة القلم ورفع من قيمته ، ووجَّه العالم إلى علم هادف نافع ، وأهاب الإنسان بأهمية استخدام العقل وأكد على الانتفاع به ، ودعا إلى اتخاذه كوسيلة للتدبر في آيات الله تعالى ، وحثَّ على النظر في الأنفس والآفاق .

ومن فضله عليه الصلاة والسلام أيضاً أنه جعل هذه الأمة الإسلامية كأمة ألقيت على كواهلها مسؤولية الوصاية على العالم والحسبة على سيره واتجاهاته وأخلاقه ، وأعلن أنها لم تُبعث لتندفع مع تطورات العالم سريعاً أو بطيئاً ، وتواكبه حيث اتجه وسار ، بل بُعثت لتوجيه العالم وقلب تيار المجتمع البشري ، يقول الله تبارك وتعالى :

(وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ) [سورة البقرة : ١٤٣]
وليسَ إلا ليقوم الاتزان بين سكان الأرض ، وتَبقى معايير المثل والقيم والأخلاق التي تميز البشرعن غيره من المخلوقات .

هكذا أنشأ محمد عليه الصلاة والسلام حضارةً عالميةً بُنيت على مبدأ الوحدة البشرية التي تفتقر إليها البشرية أشد افتقار ، وبها يستطيع العالم أن يتخلص من كل مأزق .

وسنَّ للحياة الإنسانية دستوراً ، ليس نبراس هدى للحياة الفردية فحسب ، بل للحياة الجماعية أيضاً ، وبالجملة فقد غيَّر اتجاه عجلة الحياة التي كانت منحدرةً نحو حضيض الهلاك ، ووجَّهها إلى سبيل الأمن والسلام وأسعدها بالنجاة الدائمة .

والحق أن ما أسداه النبي محمد صلى اللّه عليه وسلم من فضل عميم وخير جسيم إلى البشرية وما منحها من مِنن ومنح لن يستطيع أحدٍ أن يجزيه عنها ، إلا أنه تعود على البشرية عامةً وعلى الأمة المسلمة خاصة حقوق وواجبات تجاه محمد صلى اللّه عليه وسلم الذي بعث رحمة للعالمين .

ومن أول وأهم الحقوق الواجبة علينا تجاه نبينا أن يكون إيماننا به صادقاً ، وأن نقوم باستعراض هذا الإيمان دائماً ، لأنه إذا سرى فيه شيئ من الضعف والنقص ، انهدم بنيانه بأكمله .

والحق الثاني : أن تكون عظمته متمكنةً من قلوبنا ومتغلغلةً في أحشائنا . ونعتقد أنه أفضل وأعظم الخلق من دون مراءٍ .

والحق الثالث : حبه صلى اللّه عليه وسلم حباً يتمكن من العقل والقلب ويفوق كل شيئ .

والحق الرابع : طاعته واتباعه ، فمن واجبات كل فرد من أفراد هذه الأمة أن يتبعه في كل مرحلة من مراحل الحياة وفي كل شأن من شؤونها .

والحق الخامس : الاطلاع على سيرته والإلمام بحياته إجمالاً وتفصيلاً ، فمعرفة سيرة النبي عليه الصلاة والسلام وفهمها السديد الصحيح من أهم مسؤوليات هذه الأمة .

والحق السادس : نصره ونصر دينه وشريعته ، وتعزير مهمته ودعوته .

ومن حقه العظيم أيضاً الإكثار من الصلاة عليه والاهتمام بها ليل نهار ، صباح مساء .

فنذكر فيما يلي نبذةً من الحقوق التي وردت في القرآن المجيد ، وبينها النبي عليه الصلاة والسلام بأقواله . (للحديث بقية)

ألم يعلم بأن اللّه يرى

الدكتور أشرف شعبان أبو أحمد *

ذات ليلة بينما كان عمر بنِ الخطاب رضي اللّه عنه يتفقد أحوال الرعية ليطمئن عليهم ، سمع سيدة تقول لابنتها : يا بنية ! اخلطي اللبن بالماء . فقالت الابنة : يا أماه ! إن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي اللّه عنه نهى عن خلط اللبن بالماء . فقالت الأم : إن أمير المؤمنين لا يرانا . فقالت الابنة : إذا كان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب (رضي اللّه عنه) لا يرانا ، فإن رب عمر يرانا . ولم يكن عمر غائباً كما ظنت أمها ، بل كان حاضراً يسمع وينصت ، وسر عمر بن الخطاب رضي اللّه عنه لهذا الحديث ، وبعث ابنه عاصم في الصباح ليخطب هذه الابنة ، إن الفتاة لم ترض بغش اللبن بالرغم من علمها بأن عين أمير المؤمنين لن تراها ، وتعلمٍ أن اللّه يراها ، فاستحيت من اللّه أن يراها على معصيةٍ ، فكانت أهلاً لتكون زوجة لابن ثاني الخلفاء الراشدين ، وجدة لخامس الخلفاء الراشدين ، فقد علمت بفطرتها وهي طفلة أن اللّه يراها في كل وقت في السر والعلن ، فصدقت القول بالعمل ، وأصبحت تراقب اللّه في كل أفعالها ، فأبت أن ترضي مخلوقاً في معصية اللّه ، حتى لو كانت أمها . إن كان عمر لا يرانا ، فإن رب عمر يرانا ، ضع مكان عمر من شئت من المسئولين ، وولاة الأمر ، وتفقد نفسك ، وحاسبها على هذا المبدأ ، وسيتبين لك أننا في كثير من أمورنا لا نتعامل إلا مع عمر ، ولا نقيم وزناً لرب عمر رضي اللّه عنه .

وعن نافع قال : خرج ابن عمر في بعض نواحي المدينة ومعه أصحاب له ، ووضعوا سفرة لهم ، فمر بهم راعي غنم فسلم ، فقال ابن عمر : هلم يا راعي ، هلم فأصب من هذه السفرة . فقال الراعي له : إني صائم . فقال ابن عمر : أتصوم في هذا اليوم الحار الشديد سمومه ، وأنت في الجبال ترعى الغنم ؟ فقال : أي واللّه أبادر أيامي الخالية . فقال له ابن عمر ، وهو يريد أن يختبر ورعه : فهل لك أن تبيعنا شاة من غنمك ،

* الإسكندرية ، جمهورية مصر العربية .

فنعطيك ثمنها ، ونعطيك من لحمها فتفطر عليه ؟ فقال الرعي : إنها ليست لي ، إنها غنم سيدي . فقال ابن عمر : فما عسى سيدك فاعلاً ، إذ تفقدها فقلت : أكلها الذئب ؟ فولى الراعي وهو رافع إصبعه إلى السماء وهو يقول : فأين الله ؟ فهذا عبد من عباد الله ، يرعى الغنم في الجبال الموحشة الخالية ، لكنه يعرف كيف يتعامل العبد مع ربه ، فهو يراقب الله الذي يسمعه ويراه ، ولا تخفى عليه خافية ، ولذا فهو لا يحب أن يراه الله في موقف ريبة ، ومن أجل ذلك قال : فأين الله لما طلب منه ابن عمر ، على سبيل الاختبار ، بيع شاة ، ولما قدم ابن عمر إلى المدينة بعث إلى مولاه ، فاشترى منه الغنم والراعي ، فأعتق الراعي ووهب له الغنم ، مكافأة له .

وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يوصي أصحابه بمراقبة الله وخشيته ، فقال لعبد الله بن عمر رضي الله عنهما : " اعبد الله كأنك تراه " وحين سأله جبريل عليه السلام عن الإحسان قال صلى الله عليه وسلم : " أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك " ، في هذا الحديث حقيقة وعظة وعبرة ، لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد ، فليتنا نفهم مراده ، ونعمل بمدلوله ، وهو يترجم بكل واقعية ، حقيقة إيمانية ، أن الله يرانا وهو على كل شيئ رقيب ، وبكل شيئ محيط ، يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور ، يعلم ما نخفي وما نعلن ، وما يخفى على الله من شيئ في الأرض ولا في السماء ، ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ، ولا خمسة إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أينما كانوا ، إنه بكل شيئ عليم . فيا من ترتكب معصية ، كبرت أم صغرت ، عظم شأنها أم قل ، وقد تكون في مشهد مقزز ، تشمئز منه النفوس ، وتنظره العيون شزراً ، ألا تستحي أن يراك الله ، بينما تستحي إن يراك أحد كائناً من كان ، في وضع مخز أو موقف محرج أو مظهر غير لائق ، أو تقع أمامه في خطأ ما يحسب عليك ، وقد يحاسبك عليه ، بل تحرص أشد الحرص ، على أن يراك فيما تحب أن يراك عليه ، ألا تستحي من الله أن يراك وأنت هكذا ، فلو عبدنا الله حق عبادته ،كأننا نراه ، فإن لم نكن نراه فهو يرانا ، واضعين نصب أعيننا ، قوله تعالى : (أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُ أَحَدٌ) [البلد : ٧] وقوله : (أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ) [العلق : ١٤] ، وقوله : (أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لاَ نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُم) [الزخرف : ٨٠] موقنين بأن علينا حفظة يحصون أعمالنا لنحاسب

عليها ، كما في قوله : (إِلَى ٱللَّه مَرْجعُكُمْ جَميعاً فَيُنَبِّئُكُمْ بمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) [المائدة : ١٠٥] ، وقوله : (لِيَجْزِيَ ٱلَّذينَ أَسَاءُواْ بمَا عَملُواْ وَيَجْزِيَ ٱلَّذينَ أَحْسَنُواْ بٱلْحُسْنَى) [النجم : ٣١] ، وقوله عز وجل : (وَيَقُولُونَ يٰوَيْلَتَنَا مَا لهَـٰذَا ٱلْكتَاب لاَ يُغَادرُ صَغيرَةً وَلاَ كَبيرَةً إِلاَّ أَحْصَاهَا وَوَجَدُواْ مَا عَملُواْ حَاضراً وَلاَ يَظْلمُ رَبُّكَ أَحَداً) [الكهف : ٤٩] ، فيا من توسوس له نفسه بمعصية ، فسألها : ألا يراني الله ! ألا يعلم ما أرتكبه ! ألم يجازيني على ما أفعل ! فاستحي أن يراه الله هكذا ، وزجرته نفسه وعاد لرشده ، لتغير حالنا كثيراً عما هو عليه ، ولكن للأسف تلك الحقيقة يعلمها الكثير منا ولا ينتفعون بعلمهم ، فتجد من لا يقدر أن يفعل معصية أمام الناس ، ويفعلها في خلوته أمام الله ، كما لو كان الله سبحانه وتعالى أهون عليه من الناس ، ولتكون خشيته من الناس عنده ، أعظم من خشيته لله سبحانه وتعالى .

ومن الأمثلة على هؤلاء : نوابنا في المجالس النيابية الذي يمثلون فيها رأي وصوت الشعب تحت قبة البرلمان ، وهم من وضع الناس فيهم الثقة ، وحملوا أحلامهم ليضعوها بين أيديهم ، راجين فيهم الأمل ، حالمين بتغير أحوالهم ، مصدقين وعودهم ، لكنهم في أول جلسة لهم على الكرسي ، انتهى دور الناخبين بالنسبة لهم ، بل وأصبحوا مصدر إزعاج وثرثرة لهم ، وقد فتنهم بريق السلطة وصولجانها ، وغرَّهم سلطان المال ورونقه ، فأخذوا على عاتقهم جمع أقصى ما يستطيعون جمعه قبل أن تنتهي المدة ، خشية ألا تتكرر الفرصة مرة أخرى ، ودخلوا في مزايدة على الشرف والضمير ، تخافت صوتهم الذي كان يصيح بحق الناس ، وعلا صوتهم بالضلال ، وأصبحوا ممن يكرسون القانون لخدمة الطغاة ، هؤلاء ألم يضعوا أنفسهم أمام الحقيقة الناصعة الوضوح ، وهي أن العليم الخبير الذي لا يخفى عليه شيء في الأرض والسماء ، يراهم ويشهد ما يفعلون ، وسيجازيهم على فعلتهم عاجلاً أم أجلاً . قال تعالى : (لَّهُمْ عَذَابٌ فى ٱلْحَيَاة ٱلدُّنْيَا وَلَعَذَابُ ٱلآخرَة أَشَقُّ وَمَا لَهُم مِّنَ ٱللَّه من وَاق) [الرعد : ٣٤] ، وقال : (وَكَذٰلكَ نَجْزى مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمن بآيَات رَبِّهَ وَلَعَذَابُ ٱلآخرَة أَشَدُّ وَأَبْقَىٰ) [طه : ١٢٧] .

ومنهم أيضاً من يصل بالمكر والخديعة والاحتيال إلى منصب ليس أهلاً له ، ومن تسلق السلم الوظيفي على أكتاف من يستحق الترقي ، وقد أخذ حقاً ليس له ، طامعاً في أن يزيد نفوذه وماله على حساب من

يستحق ، ومن أسند له أمر ، وهو ليس أهلاً له ، وهناك من هو أحق به منه ، ألا يعلم أن الله يرى ؟ فمهما جلس يبرر لنفسه أو يدعي الكفاءة أو الاستحقاق ، فإنه يخدع نفسه ، وهذا الخداع لن يستمر طويلاً ، لأن الله سيريه دائماً الحقيقة أمامه تشير له بالجهل والعجز ، أمام مواقف بسيطة ، فيطارده الفشل والضيق ، وقتها سيتمنى راحة البال التي ينعم بها من سلب منه هذا الحق ، هؤلاء الذي قال فيهم عليه الصلاة والسلام ، عندما جاءه أعرابي قائلاً : متى الساعة ؟ فقال : " فإذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة " ، قال : كيف إضاعتها ، قال : " إذا وسد الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة " .

ومنهم الغاش لأبناء بلده ولأسرته وللمقربين له ومن قبل ومن بعد لنفسه ، ألم يعلم من غش في صغيرة أو كبيرة من الأمور ، ولم يتب ، قال فيهم الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم : " من غشنا ليس منا " وقال : " أيما راع غش رعيته فهو في النار " ، وإن لم يره أحد أو غفلت عنه أعين المراقبين له أو زاغ هو عن مراقبتهم له ، فإن الله يرى وعينه لا تغفل ولا تسهو ، وقال عليه الصلاة والسلام : " من استرعاه الله رعية ثم لم يحطها بنصحه ألا حرم الله عليه الجنة " . ومنهم من يبخس الناس أشياءهم ولا يوف بالكيل والميزان ، أي ميزان ، ميزان الحق ، ميزان العدل ، ميزان الكيل ذاته أو غيرهم ، ألا يعلم أن الله يرى ؟ وأن هذه الجرامات التي يسلبها من حقوق الناس ، ويظن أنها تزيد أمواله أو أموال من نصره ظلماً ، هي حرام وإن اختلطت بالحلال ، وكيف يرضى لأنفسه ولأولاده أكل الحرام ، قال عليه الصلاة والسلام : " كل لحم نبت من حرام ، فالنار أولى به " ، وقال : " من اقتطع حق امرئ مسلم فقد أوجب الله عليه النار وحرم عليه الجنة " ، ما ذنب زوجته أن تدخل النار لأنه أطعمها من حرام ، وما ذنب ابنه أن يدخل النار لأن لحمه نبت من حرام ، إن ما يطعمهم به ، يقذف بهم إلى النار ، ويطعم لحمهم الذي نبت من حرام نار جهنم ، وليعلم أنه لن يفلت من عدالة الله ، فكما أخذ من حقوق الناس في الدنيا سيأخذون من حسناته أو يأخذ من سيئاتهم في الآخرة ، ولكن هل هذا سيكفي لوفاء حقوقهم ؟ عسى الله ألا يمهله إلى هذا اليوم ، ويلهمه التوبة قبل فوات أوانها ، قال تعالى : (يا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلاَئِكَةٌ غِلاَظٌ شِدَادٌ لاَّ يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ

وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ) [التحريم : ٦] .

ومنهم من يخرج سعياً وراء شهوة الفرج ، وقد يكون الله قد كفلها له بالمتعة الحلال ، فقد يكون متزوجاً ، من زوجة صالحة ، لكن نفسه الدنيئة تدفعه وراء شهوة حيوانية ، فيفعل ما يفعل ، ويعود زاهياً بنفسه ، ماذا لو أراد الله ، أن يريه سوءة ما فعل ، فيجلسه مع نفسه ، فإذا به ينظر ليجد أمامه صورة واضحة ، يشهد فيها كل ما فعل في الخفاء ، بتفاصيله مجسداً أمام عينه ، لقد أصبح على نفسه شاهد عيان ، هل سأل نفسه ماذا لو انكشفت حقيقتي لزوجتي وأولادي ، هل أستطيع مواجهتهم وهم يفترضون في كل شيئ حسن ؟ هل وصلت لهذه الدرجة من الوضاعة بحيث أضعهم في هذا الموقف ؟ وإذا كان يخشى من رؤية زوجته وأولاده ، وهم لم يروه ، ألا يخشى الله وهو يراه ، بل والأبشع من ذلك أن تظن به الظنون ، أن يرى زوجته ، وقد حلت محله ، لتفعل ما يفعله ، فهل يحتمل هذا أي رجل مهما بلغ من سوء الخلق ؟ إلا إن كان ديوثاً ، ماذا يفعل والشكوك تساوره ، والظنون تكاد تقضي عليه ، وهو يحصي كل مرة ارتكب فيها هذا الجرم الذي يندى له الجبين ، وهل كانت زوجته تفعل ما يفعل في غفلة منه ، وهو يسعى مطمئناً يلهث لإشباع غريزته ؟

ومنهم من تمتد يده الآثمة إلى حقوق الناس ، ولا يلقي بالاً ، لأثر ما اقترفته يداه من المعصية ، بدأ ممن تمتد يده إلى حافظة موظف بسيط ، ظل يكدح ويشقى طوال الشهر ، منتظراً هذا اليوم الذي يأخذ فيه ثمار جهده ، ليدخل على أبنائه حاملاً إليهم الفرحة والسرور حتى لو بالقليل ، فتمتد يد هذا السارق لتنتزع ليس فقط أمواله ولكن فرحته هو وأسرته ، وتبدلها حزناً وشجوناً ، فيظل يفكر المسكين فيما يفعل حتى يخرج من محنته ، ربما يستدين ويضيق المعيشة على أبنائه ، وهذا اللص ينعم بالحرام ، لا يفكر في نتيجة جريمته ، ترى هل يفلت من الله وهو المطلع عليه ؟ ووصولاً إلى لصوص من نوع آخر لصوص يمتلكون مناصب مرموقة ، يستغلونها كي تنتهي بهم إلى ثروة ضخمة ، ومنهم رجال الأعمال الذين عز عليهم التعب والشقاء ، واستطالوا مشوار الكفاح فاستحلوا الحرام ، ومنهم باعة الوهم والأحلام الكاذبة ومستغلو الأزمات وفاقة الناس ليثروا عليها ، وتخيلوا بأنهم أفلتوا بما فعلوا بحيل قانونية أو

بمغادرة البلاد ، ألا يعلموا أن الله يرى ؟ وهو مجازيهم على فعلتهم ، إنه القانون الإلهي الذي ليس فيه نقض أو استئناف ولا يخضع للمماطلة .

ومنهم من يستأمنه أخ له على بيته وأبنائه وأمواله ، ويتركهم في رعايته ، فتسول له نفسه الضعيفة ، أن يستحل الحرام ويستبيح لنفسه ما ليس من حقه ، ويتملكه الطمع ، ويستجيب لهوى نفسه الأمارة بالسوء ، فتمتد يده إلى هذه الأمانة ، ألا يعلم أن الله يرى ؟ يراه وهو يحل نفسه من ضميره ، ويتخلى عن مروءته ، ليستبيح مال أخيه أو بيته ، وهو من ذهب مطمئناً واثقاً في أخ راجياً فيه حفظ غيبته ، مطمئناً على ولده ، تاركاً له أباً يعوضه ومربياً يأخذ بيده إلى الأمان ، فما هو سوى لص يلتهم حقه ويخون الأمانة .

ومنهم من ينهى عبداً إذا صلى أو صام أو زكا أو حج بيت الله الحرام ، ومن ينهى عبداً عن إقامة شعائر الإسلام على نفسه وأسرته ووطنه . ومثله من يمنع الداعية من الدعوة ، والمجاهد في سبيل الله من الجهاد ، ومن ينهى عباد الله عن طاعة الله ، وصد عن سبيله ، أرأيت إن كان هذا الناهي على ضلالة ، وفي جهالة ، ألم يعلم أن الله يرى ما يفعل ، ويبصر ما يعمل ، ويحصي أقواله ، ويكتب أفعاله ، ويعلم أحواله ، أيحسب أن لم يره أحد .

ومنهم من قتل مؤمناً لئلا يقول ربي الله ، ومحمد صلى الله عليه وسلم رسولي ، والإسلام ديني ، والقرآن دستوري ، ألم يعلم من قتل نفساً بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعاً ، وقد حرم الله قتل النفس إلا بالحق ، وأين الحق في ذلك ؟ قال تعالى : (وَلاَ تَقْتُلُواْ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلاَّ بِٱلْحَقِّ) [الإسراء : ٣٣] ، وقال صلى الله عليه وسلم : " من أعان على قتل أدمي ولو بشطر كلمة جاء يوم القيامة وقد كتب على وجهه آيس من رحمة الله " ، وقال : " من نظر إلى امرئ نظرة يخيفه بها بغير حق أخافه الله يوم القيامة " ، وقال : " من أشار إلى أخيه بحديدة فإن الملائكة تلعنه حتى يدعه وإن كان أخاه لأبيه وأمه " ، وقال : " من حمل علينا السلاح فليس منا " ، فيا من لوثت أو لطخت يدك بدم بريئ قتلته تحت التعذيب أو تحت وطأة الإكراه للاعتراف على شيئ لم يفعله ، يا من لفقت تهمة لهذا أو ذاك من المواطنين الأبرياء ، يا من تقتل دون أن يهتز لك جفن ، وترجع فتضع رأسك على وسادتك ، وتذهب في نوم وأحلام ،

ويا من تشعر باللذة في زيادة عدد ضحاياك كل يوم ، ولا تبالي بتوسلاتهم أو صراخهم ، يا من ترتكب مثل هذه الجرائم بوحشية ، يهون الموت بجانبها ، فيصبح رحمة لكرامة الرجال المذبوحة ، وأعراض النساء المنتهكة ، وهيبة الكهول الضائعة ، وبراءة الأطفال المشردة ، ألم يعلم هؤلاء القتلة ممن يرتوون من سفك دماء العباد ، أن الله يرى ؟ ماذا سيقولون لربهم يوم تسود وجوههم ؟ أفلا يعلمون أن أول ما يقضى فيه يوم القيامة الدماء لماذا سفكت ؟ فليتدبروا أمرهم يوم يرون سوءة ما فعلوا نصب أعينهم ، هذا إذا أمهلهم الله إلى هذا اليوم ، فربما جاء الحساب أسرع مما يتخيلون ، وربما استجاب الله لدعاء ضحاياهم ، التي تصرخ من ظلم العباد ، مستغيثة برب العباد ، مطالبةً بالثأر فيريهم يوما لم ينتظروه .

ومنهم من يلعب القمار أو الميسر ، ويتلاعب بقوت أبنائه ، ويجارى أصدقاء السوء ، الذين يدفعونه إلى المعصية ، ألم يعلم بأن الله يراه وهو يحرم أبناءه من الضروريات ، ليقامر بما له من مال ، هل انعدمت من نفسه المروءة والرحمة؟ لتحل محلها الأنانية ، وحب الذات والقسوة ، وامتلكه الطمع إلى هذا الحد ؟ فلينظر إلى أين سيؤول به هذا ؟ هل سيكون مصيره السجن ؟ أم سيلقى به إلى طريق لا يرى له نهاية ؟ فلتخجل من نفسك يا رجل ، أفلا تستحي من الله ؟ فلتستجمع إرادتك ، وتجاهد نفسك ، ولتستعن بالله ، ربما كتب لك النجاة مما أنت فيه ، واستطعت التغلب على هوى نفسك ، فلا تقل أن الوقت فات كي تقلع عن هذا الإدمان ، فلم يفت الوقت ، دائماً يفتح الله باب التوبة والرحمة أمام العباد ، فلتقف ببابه مستغفراً عسى أن تكون فرصتك في حياة جديدة ، وثق أنك ستشعر فيها بلذة أكبر ، في بسمة أطفالك وإحساسك بإسعادهم واحترامهم لك ، وسيغمرك حبهم بالدفء والرضا ، وسيخرجك من إدمانك لهذه المعصية ، وقتها فقط ستجد اللذة الحقيقية .

ومنهم من إذا حدث كذب بل ويحلف على الكذب ، وإذا اؤتمن خان ، وإذا وعد أخلف ، ومن أنيط به الحكم بين الناس بالعدل وإقامته بينهم ، فلم يقمه لهوى في نفسه أو لمطمع خاص به ، والراشي والمرتشي ، والمرابي ، والمرائي ، ومن يشتغل بالسحر ، ومن يؤذي جاره أو زميله أو غيرهما من المسلمين ، ويقطع رحماً وصله الله ، ومن يتتبع بنظره عورات

الناس ، متفحصاً وممحصاً حرماتهم ، ولا يغض بصره عنهم ، ومنهم كل هماز لماز مشاء بنميمة وكل مغتاب ، وكل لعان وقاذف للمحصنات ، ومن يشهد بهتاناً وزوراً ليغتصب حق آخر لنفسه أو لغيره ، أو يزيف ويزور لاستقطاع ما يمتلكه الغير ، ومن يأكل مال اليتيم أو يظلم أرملة ، أو من هو عاق لوالديه ، أو يتحدث عن جهل ، ومن تكبر وطغى وبغى وبطش وسلب ونهب وفسق ، دون أن يخشى أو يتحرج ، ويفعل ما يفعل من سائر الموبقات والمعاصي ، كل هؤلاء ألم يعلموا أن الله يراهم جميعاً وأفراداً ، هل دعا كل منهم نفسه لوقفة تأمل قبل أن يرفع يده ليرتكب جريمة .

فإلى كل العاصين الغافلين ، عليكم وعلينا أن نعي هذه الحقيقة الواضحة أن الله يرى . يرانا في جميع أحوالنا ، يرى ما نفعله في السر والعلن ، فلا يأخذنا الغرور والكبر والحاجة أو تدفعنا أنفسنا إلى ارتكاب المعصية ، فلنجاهدها ولنراقب الله في أفعالنا ، ولنستعد ليوم سيؤتى فيه بشهود ، لن نستطيع تكذيبهم ، أو ترويضهم أو حملهم على ما نريد ، إنهم أعضاؤنا وكافة جوارحنا التي ستشهد علينا ، يوم لا تطاوعنا ألسنتنا أن ندعي فيه شيئاً ، وستشهد على قولنا السوء والإثم والزور والبهتان ، وستشهد أيدينا على أخذنا ما ليس لنا ، وبطوننا على أكلنا الحرام ، وأرجلنا على خطانا نحو المعصية ، قال تعالى : (يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ) [النور : ٢٤] ، يوم لا يفكر أي منا إلا في النجاة بنفسه ، يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم ، ولا ينفع أحدنا الآخر ، لا أب ولا ابن ولا زوجة ، (يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ . وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ . وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ . لِكُلِّ ٱمْرِىءٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ) [عبس : ٣٤ – ٣٧] ، قال عز وجل : (وَٱتَّقُواْ يَوْماً تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ) [البقرة : ٢٨١] ، فإلى الله الرجعى ، قال تعالى : (إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰ) [العلق : ٨] ، وإليه يرجع الصالح والطالح ، والطائع والعاصي ، والمحق والمبطل ، والخير والشر ، والغني والفقير ، ألا إلى الله تصير الأمور ، فلتستعدوا لهذا اليوم ، فما زالت الفرصة قائمة أمامنا ، لننجو بأنفسنا ، عسى الله أن يتغمدنا بصفحه وغفرانه ، فلنقترب جميعاً منه ، خائفين عقابه ، مستغفرين ذنوبنا ، راجين رحمته ، أم على قلوب أقفالها ؟ أم لم يحن وقت طلب المغفرة والتوبة ؟ أم هو الأمن من عقاب الله ؟!

خطوات أولية في بناء الملَكة التفسيرية

الدكتور عبد الصمد امزيان*

لتأسيس ملكة تفسيرية ، لا بد من الوقوف على محطات معتمدة بغية تنمية مهارات الفهم والنظر المؤهلة لهذا التأسيس ، وهي خطوات كثيرة ، لكن هذه الدراسة هي محاولة لاختصار وذكر الأهم منها ، وسأبسطها في ما يأتي :

قبل التعامل مع النص القرآني :

أول ما يلزم لمن يسعى إلى تحصيل ملكة التفسير ، هي ذاك الاستعداد النفسي والعقلي ، وهذا مقصد من مقاصد حصول الملكة ، فضلاً عن تلك التهيئة الخلقية ، المتمثلة في النية الصادقة ، لأن الأعمال مقرونة بنياتها [1] ، ثم التوكل على الله عز وجل ، والسعي نحو نيل الإخلاص ، لا طلباً لشهرة ولا لرياء ، وأن يتصف من يرنو لها بالآداب والقيم والشروط المؤهلة له لصعود هذا المرقى العظيم ، والتي تحدث عنها أهل العلم في تصانيفهم [2] ، بدءاً بسلامة المعتقد لما له من أثر بليغ في نفسية صاحبه ، لأن فساده قد يقوده إلى تحريف معاني الآيات ولَيّ أعناقها عن غير المراد منها ، لهذا نجد الإمام أبا طالب الطبري في أوائل تفسيره يقول : " القول في أدوات المفسر : اعلم أن من شرطه صحة الاعتقاد أولاً ولزوم سنة الدين ، فإن من كان مغموصاً عليه في دينه لا يُؤتمن على الدنيا ، فكيف

* أستاذ ، وباحث في الدراسات الإسلامية ، وزارة التربية والتكوين – المغرب .

[1] أصله حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه مرفوعاً إلى النبي صلى الله عليه وسلم : " إنما الأعمال بالنيات ، وإنما لكل امرئ ما نوى " . رواه البخاري في صحيحه ، تحقيق محمد زهير بن ناصر ، دار طوق النجاة ، الطبعة الأولى سنة ١٤٢٢هـ ، باب : كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، الجزء ١ ، الصفحة ٦، الرقم ١ .

[2] لقد أفرد العلماء في مصنفاتهم مباحث للحديث عن آداب المفسر وشروطه التي لا غنى له عنها ، وأوصلها بعضهم إلى عشرين شرطاً ونيفاً ، وعدوا من الآداب مثل ذلك، ينظر مثلاً : الإتقان في علوم القرآن ، لجلال الدين السيوطي (ج ٤ ، ص٢٠٠)، مباحث في علوم القرآن لمناع القطان (ص ٣٤٠ فما بعدها) ، ومدخل إلى التفسير وعلوم القرآن (ص ٧٤) .

على الدين ، ثم لا يُؤتمن من الدين على الإخبار عن عالِم فكيف يُؤتمن في الإخبار عن أسرار الله تعالى ، ولأنه لا يؤمن إن كان متهماً بالإلحاد أن يبغيَ الفتنة ويُغرِ الناس بليه وخداعه كدأب الباطنية وغلاة الرافضة ، وإن كان متهماً بهوى لم يُؤمن أن يحمله هواه على ما يُوافق بدعته كدأب القدرية "[1] . فمن تبع هواه نصرةً لمذهبه زاغ عن الجادة القويمة ، كدأب الروافض والمعتزلة والخوارج ونحوهم ، كيف بمن سيؤول القرآن الكريم وليس سليم المعتقد ، ذا خلق حسن مبني على الصدق ، و " اعلم أنه لا يحصل للناظر فهم معاني الوحي ولا يظهر له أسراره ، وفي قلبه بدعة ، أو كبر ، أو هوى ، أو حب الدنيا ، أو وهو مُصر على ذنب ، أو غير متحقق بالإيمان . وهذه كلها حُجب وموانع بعضها آكد من بعض ، وفي هذا المعنى قوله تعالى : (سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ) [الأعراف : ١٤٦] ، قال سفيانَ بن عيينة رحمه الله[2] : " يقولَ أنزعَ عنهم فهم القرآن " . أخرجه ابن أبي حاتم "[3] .

من الخطوات الأخرى التأسيسية لهذه الملكة التي لزم الحرص عليها : التزود العلمي الرصين قبل الخوض في تفسير الآيات ، وأعني بذلك الإلمام بالعلوم اللازمة ، التي تؤهل لفهم المعاني القرآنية ، وفي طليعتها علوم الآلة كعلم التجويد والقراءات ، وأصول التفسير ، وعلوم اللغة العربية ، وأصول الفقه ، وغيرها ، وهذان الأخيران مما يبسط لنا سبل الوصول إلى الكشف عن معاني الآيات ، ويتيح لنا اكتساب ملكة مع

---

[1] جلال الدين السيوطي ، الإتقان في علوم القرآن ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، نشر : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، الطبعة ١٣٩٤هـ ، الجزء ٤ ، الصفحة ٢٠٠ .

[2] هو أبو محمد الهلالي ابن أبي عمران ميمون مولى محمد بن مزاحم ، الإمام الكبير ، وحافظ العصر ، شيخ الإسلام ، الكوفي ، ثم الحجازي ، من أعلام الحديث والتفسير، حافظاً ثقةً ، واسع العلم كبير القدر ، قال عنه الإمام الشافعي : لولا مالك وسفيان لذهب علم الحجاز . (سير أعلام النبلاء ، لشمس الدين الذهبي ، دار الحديث القاهرة ، طبعة ١٤٢٧هـ ، الجزء ٧ ، الصفحة ٤١٤ ، الأعلام ، لخير الدين الزركلي ، دار العلم للملايين ، الطبعة الخامسة عشر ، سنة ٢٠٠٢م ، الجزء ٣ ، الصفحة ١٠٥) .

[3] الإتقان في علوم القرآن ، الجزء ٤ ، الصفحة ٢١٦ ، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم ، تحقيق : أسعد محمد الطيب ، مكتبة نزار مصطفى الباز ، المملكة العربية السعودية ، الطبعة الثالثة ، سنة ١٤١٩هـ ، الجزء ٥ ، الصفحة ١٥٦٧ ، الرقم : ٨٩٨٢ .

الدربة ، وقد اعتبر أبو يعقوب السكاكي رحمه الله هذين العلمين مما يضبط به علم التفسير ، فقال : " ولله در شأن التنزيل لا يتأمل العالم آية من آياته إلا أدرك لطائف لا تسع الحصر ولا تظنن الآية مقصورة على ما ذكرت ، فلعل ما تركت أكثر مما ذكرت ، لأن المقصود لم يكن إلا مجرد الإرشاد لكيفية اجتناء ثمرات علمي المعاني والبيان ، وأن لا علم في باب التفسير بعد علم الأصول أقرأ منهما على المرء لمراد الله تعالى من كلامه ، ولا أعون على تعاطي تأويل مشتبهاته ، ولا أنفع في درك لطائف نكته وأسراره ، ولا أكشف للقناع عن وجه إعجازه هو الذي يوفي كلام رب العزة من البلاغة حقه ويصون له في مظان التأويل ماءه ورونقه " [1] .

فهذه الفنون هي المساعدة على بيان المراد من كلام الله عز وجل ، فهي آيات المفسر وأدوات اشتغاله العلمية ، خصوصاً علوم القرآن ، وفي هذا يقول ابن أبي الدنيا رحمه الله [2] : " وعلوم القرآن وما يستنبط منه بحر لا ساحل له ، فهذه العلوم التي هي كالآية للمفسر ، لايكون مفسراً إلا بتحصيلها " [3] ، ودونها يكون الفهم سقيماً ، فلا يتصور أن يدرك أحد هذه المعاني وهو بمنأى عن علوم اللغة العربية مثلاً كالنحو والصرف والبلاغة ، أو لا معرفة له بأصول التفسير ، ولا علم الناسخ والمنسوخ مثلاً ، وقد قال أبو عبدالرحمن رحمه الله : " مرَّ علي رضي الله عنه على قاض ، فقال له : أتعرف الناسخ والمنسوخ ؟ قال : لا ، قال : هلكت وأهلكت " [4] ، فإذا كانت معرفة هذا العلم إلزاماً للقضاء ، والجهل به هلاكاً له حسب علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، فكيف بمن يشتغل بعلم جليل

---

[1] أبو يعقوب السكاكي ، مفتاح العلوم ، ضبط وتعليق : نعيم زرزور ، دار الكتب العلمية ببيروت ، الطبعة الثانية ، سنة ١٤٠٧هـ ، الجزء ١ ، الصفحة ٤٢١ .

[2] هو أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد ، القريشي ، حافظ للحديث ، له تصانيف عدة ، منها : " مكارم الأخلاق " و " ذم الملاهي " و " العقل وفضله " ، وغيرها . (الأعلام ، للزركلي ، الجزء ٤ ، الصفحة ١١٨) .

[3] الإتقان في علوم القرآن ، الجزء ٤ ، الصفحة ٢١٦ .

[4] وفي هذا الباب آثار كثيرة مماثلة لقولة علي رضي الله عنه ، تبرز قيمة هذا العلم ، وتبين أنه من العلوم التي لايستغن عنها ، ينظر : الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم ، لابن حزم ، تحقيق : عبد الغفار البنداري ، دار الكتب العلمية ببيروت ، الطبعة الأولى ، سنة ١٤٠٦هـ ، الجزء ١ ، الصفحة ٥ و ٦ .

كالتفسير ؟ " فمن فسر بدونها – أي هذه العلوم – كان مفسراً بالرأي المنهي عنه ، وإذا فسر مع حُصولها ، لم يكن مفسراً بالرأي المنهي عنه " [1] ، ولا يعتقد بناء الملكة التفسيرية أيضاً بلا هذه الآليات ، وقد حصرها الإمام السيوطي رحمه الله في خمسة عشر علماً فقال : " يجوز تفسيره لمن كان جامعاً للعلوم التي يحتاج المفسر إليها ، هي خمسة عشر علماً " [2] ، فعد منها ما سبق الإشارة إليه ، بالإضافة إلى علم الاشتقاق ، وعلم المعاني ، والبيان ، والبديع ، وعلم الموهبة ، وهلم جراً .

مما يساعد على تحصيل الملكة أيضاً ، ومن الخطوات التي لها أهميتها البالغة ؛ كثرة النظر في كتب التفسير والالتصاق بها ، والتمعن فيها ، بدءاً بالمختصرات ؛ كتفسير الجلالين رحمة الله على صاحبيه ، وصفوة التفاسير للصابوني رحمه الله ، انتهاءً بالمطولات ؛ كتفسير الإمام الطبري ، والقرطبي ، وابن كثير وغيرهم رحمهم الله ، فإنه يجلي للمطالع كيف تعامل أهل العلم مع الآيات القرآنية ، ويبين المسالك التي اعتمدوها في الفهم ، وهذا مما يُذكي قريحة القارئ ، ويوسع مدارك الفهم .

أثناء النظر في النص القرآني :

في المحطة الثانية من محطات تكوين المَلَكة التفسيرية ، وأثناء التعامل مع الآيات القرآنية ، لابد من حسن الإعداد الأولي ، فبداية يحدد الآيات التي سيطبق عليها هذه الخطوات ، ويستحسن لو تحصر في عشر ، اقتفاءً بأثر الصحابة رضوان الله عليهم ، فعن ابن مسعود رضي الله عنه موقوفاً ، قال : " كان الرجل منا إذا تعلم عشر آيات ، لم يجاوزهن حتى يعرف معانيهن والعمل بهن " [3] .

ثم ينظر بعد تحديدها في سبب ورود هذه الآيات ، التي يرنو فهم معانيها ، لأن لمعرفة سبب النزول فوائد جمة ، قال الإمام الواحدي رحمه

---

[1] من كلام ابن أبي الدنيا رحمه الله ، انظر : الإتقان في علوم القرآن ، الجزء ٤ ، الصفحة ٢١٦ .

[2] الإتقان في علوم القرآن ، الجزء ٤ ، الصفحة ٢١٦ .

[3] أحمد بن حنبل ، في مسنده ، تحقيق شعيب الأرنؤوط ، وعادل مرشد ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة الأولى ، سنة ٢٠٠١م ، الجزء ٣٨ ، الصفحة ٤٦٧ .

الله : " لا يمكن تعبير الآية ، دون الوقوف على قصتها ، وبيان نزولها " [1] .

فلعل آية من القرآن الكريم قد يفهم منها في ظاهرها معنى ، وإذا أمعنا النظر في سبب نزولها تبين لنا المعنى الحقيقي على خلاف ما فهم أول الأمر ، وقد تحدث العلماء [2] عن فوائد هذا العلم فذكروا منها : بيان المراد لارتباطه بسبب النزول ، جاء في مقدمة أصول التفسير : " معرفة سبب النزول يعين على فهم الآية ، فإن العلم بالسبب يورث العلم بالمسبب " [3] ، إلى جانب تخصيص العام ، وبيان المشكل ، ودفع التعارض ، وهذا من أهم ما يفهم به القرآن الكريم ، لهذا نجد الإمام القشيري رحمه الله ، يقول : " بيان سبب النزول طريق قوي من فهم معاني الكتاب العزيز ، وهو أمر تحصل للصحابة بقرائن تحتف بالقضايا " [4] . ولابن دقيق العيد رحمه الله قول يشبهه يقول فيه : " بيان سبب النزول طريق قوي في فهم معاني القرآن " [5] .

ومثاله : أنه لما نزل قوله تعالى : (لا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنْ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) [آلَ عمران : ١٨٨] أشكل على بعض الصحابة فهمها ، ومنهم مروان بن الحكم الذي فهم منها فهماً خاطئاً ، فقال : " لئن كان كل امرئ فرح بما أوتيَ وأحب أن يحمد بما لم يفعل معذباً ، لتعذبن أجمعون ؟ " ، فبين له ترجمان القرآن ابن عباس رضي الله عنه أن المقصود من الآية ، وأنها نزلت في أهل الكتاب حين سألهم النبي صلى الله عليه وسلم عن شيئ فكتموه إياه وأخبروه بغيره ، وأروه أنهم أخبروه بما سألهم عنه [6] ، والأثر

---

[1] أبو الحسن الواحدي ، أسباب النزول ، تخريج وتدقيق : عصام بن عبد المحسن الحميدان ، دار الإصلاح بالدمام ، الطبعة ٢ ، سنة ١٤١٢هـ ، الصفحة ٨ .

[2] ينظر مثلاً : أسباب النزول للواحدي ، العجاب في بيان الأسباب لابن حجر العسقلاني ، لباب النقول في أسباب النزول للسيوطي وغيرها ، فقد أفردوا فصولاً للحديث عن فوائد هذا العلم .

[3] ابن تيمية ، مقدمة في أصول التفسير ، دار مكتبة الحياة ببيروت ، الطبعة ١٤٩٠هـ، الصفحة ١٦ .

[4] الزركشي ، البرهان في علوم القرآن ، تحقيق : أبو الفضل محمد إبراهيم ، الطبعة الأولى سنة ١٣٧٦هـ ، دار إحياء الكتب العربية ، الجزء ١ ، الصفحة ٢٢ .

[5] الإتقان في علوم القرآن ، الجزء ١ ، الصفحة ١٠٨ .

[6] الإمام البخاري ، في صحيحه ، باب : لايحسبن الذين يفرحون بما أتوا ، الجزء ٦ ، الصفحة ٤٠ ، الرقم : ٤٥٦٨ ، الإمام مسلم في صحيحه ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء التراث العربي ببيروت ، كتاب صفات المنافقين وأحكامهم ،

في الصحيحين .

ثم السعي لشرح الآيات وتفكيك معانيها لغوياً ، وشرح مفرداتها الواضحة ، الواحدة تلو الأخرى ، وهو مأخذ من مآخذ التفسير كما أشار الزركشي رحمه الله [1] ، لأن " القرآن نزل بلسان العرب على الجملة ، فطلب فهمه إنما يكون من هذا الطريق خاصة ، لأن الله تعالى يقول : (إنّا أنْزلنَاهُ قُرآناً عَرَبياً) [يوسف : ٢] ، وقال : (بلسَان عَرَبِي مُبين) [الشعراء : ١٩٥] . فمن أراد تفهمه ، فمن جهة لسان العرب يُفهم ، ولا سَبيل إلى تطلب فهمه من غير هذه الجهة " [2] ، فإن فهم المعنى اللغوي الصرف للآية سهل فهم المعنى الإجمالي لمقطع قرآني بعدها ، وعدم فهم مفردة قرآنية قد يؤثر على فهم الآية كلها ، فهذا ابن عباس رضي الله عنه ترجمان القرآن يقول : " كنت لا أدري ما (فاطر السماوات والأرض) حتى أتاني أعرابيان يختصمان في بئر ، فقال أحدهما : أنا فطرتها ، أي : أنا ابتدأتها " [3] .

وهنا تبرز ضرورة علوم اللغة التي سبق الإشارة إليها ، وأنها أول ما يلزم العناية به لتكوين الملكة المنشودة ، ولا يحل من غيرها الخوض في شيئ من القرآن ، فقد نقل الإمام السيوطي رحمه الله عن مجاهد رحمه الله قال : " لا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يتكلم في كتاب الله إذا لم يكن عالماً بلغات العرب " [4] ، بل توعد الإمام مالك رحمه الله من يفعل ذلك ، فقال : " لا أوتي برجل يفسر كتاب الله غيرُ عالم بلغات العرب إلا جعلته نِكالاً " [5] .

ثم بعد تبسيط معاني المفردات القرآنية البارزة ، نسعى لفهم المقطع القرآني فهماً عاماً ومجملاً ، استناداً على ما استقر عندنا من معاني ، وهذا هو ديدن الصحابة رضوان الله عليهم وهم الذين شهدوا التنزيل ، فكانوا يفسرون الآيات ويسعون لفهم مدلولها المجمل ، ومنهم كتاب

الجزء ٤ ، الصفحة ٢١٤٣ ، الرقم : ٢٧٧٨ .

[1] البرهان في علوم القرآن ، الجزء ٤ ، الصفحة ٢٠٧ .

[2] الشاطبي ، الموافقات ، تحقيق : أبو عبيدة مشهور ، دار ابن عفان ، الطبعة الأولى سنة ١٩٩٧م ، الجزء ٢ ، الصفحة ١٠٢ .

[3] أبو عبد الله القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ، تحقيق : أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش ، دار الكتب المصرية ، الطبعة الثانية ، سنة ١٩٦٤م ، الجزء ١٤ ، الصفحة ٣١٩ .

[4] الإتقان في علوم القرآن ، الجزء ٤ ، الصفحة ٢١٣ .

[5] البرهان في علوم القرآن ، الجزء ١ ، الصفحة ٢٩٢ .

الصحابة كعمر رضي الله عنه ، روى أنس بن مالك رضي الله عنه سمع عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول : (فَأَنبَتْنَا فيهَا حَبّاً . وَعِنَباً وَقَضْباً . وَزَيْتُوناً وَنَخْلاً . وَحَدَآئِقَ غُلْباً . وَفَاكِهَةً وَأَبّاً) [عبس : ٢٧ – ٣١] ، قال : " فكل هذا قد عرفناه ، فما الأب ؟ " ثم نقض عصاً في يده ، فقال : " هذا لعمر الله التكلف اتبعوا ما تبين لكم من هذا الكتاب " [١] ، وزاد القرطبي في تفسيره للآية : " اتبعوا ما بين لكم من هذا الكتاب ، وما لا فدعوه " [٢] .

ولتعزيز ما توصل إليه من كشف لمعاني الآيات ، يجب الرجوع إلى التفسير بالمأثور ، وذاك لأن الملم بالعلوم الشرعية والحافظ لآي القرآن ، ليجد قرائن ، وآيات متشابهات بها قد يفسر بعضها ببعض ، وإلا فبأحاديث النبي صلى الله عليه وسلم الصحيحة منها ، ثم تفسير الصحابة من الرعيل الأول لها ، لأنهم هم من شهدوا التنزيل ، وهم أعلم بالقرآن من غيرهم ، وأعلم بواقعه ، وأسباب نزوله ، ومكيه ومدنيه ، وناسخه ومنسوخه .

وفي الختام لزم تقويم هذه النتائج المتوصل إليها ، والتأكد من هذه التأويلات من خلال الرجوع إلى كلام أئمة التفسير وترجيحاتهم في كتبهم وأسفارهم ، لأن في هذه المرحلة يقوم الباحث ما جمعه من معارف فيصحح ما كان خاطئاً ، ويدعم ما أصاب فيه .

ثم إن مع الدربة والممارسة على آيات معينة ، وكثرة الإمعان في كتب التفسير ، واتباع هذه الخطوات السالفة الذكر ، لينمي – لا محالة – في الدارس ملكة التفسير تدريجياً ، بتأسيسه فهماً سليماً لآي القرآن الكريم ولعل هذا الذي دعا إليه علي بن أبي طالب رضي الله عنه بقوله : " إلا فهماً يُعطيه الله رجلاً في القرآن " [٣] ، وإن من مقاصد التفسير هذه الدربة المنشودة " ، فالتفسير شرح مراد الله من القرآن ليفهمه من لم يصل ذوقه وإدراكه إلى فهم دقائق العربية ، وليعتاد بممارسة ذلك فهم كلام العرب وأساليبهم من تلقاء نفسه " [٤] .

---

[١] أبو عبد الله الحاكم النيسابوري ، المستدرك على الصحيحين ، تحقيق : مصطفى عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية ببيروت ، الطبعة الأولى ، سنة ١٤١١هـ ، الجزء ٢ ، الصفحة ٥٥٩ ، الرقم : ٣٨٩٧ ، وقال : هذا حديث على شرط الشيخين ولم يخرجاه .

[٢] الجامع لأحكام القرآن ، الجزء ١٩ ، الصفحة ٢٢٣ .

[٣] صحيح البخاري ، باب : فكاك الأسير ، الجزء ٤ ، الصفحة ٦٩ ، الرقم : ٣٠٤٧ .

[٤] أليس الصبح بقريب ، الصفحة ١٦٠ .

خصائص فقه المعاملات في الإسلام

(الحلقة الثانية الأخيرة)

بقلم : سعادة الدكتور عبد العزيز بن عبد الله العمار *

(٤) فقه المعاملات مبني على مراعاة العلل والمصالح :

إذا كانت غالبية العبادات في الإسلام تعبدية غير معقولة المعنى ، أو غير معللة بعلة معينة ، وإنما يطلب من المكلف الالتزام بها ، ولو لم يدرك لها علة كعدد ركعات الصلاة وتقبيل الحجر الأسود .

فإن غالبية المعاملات في الإسلام غير تعبدية ، أو معقولة المعنى ، أو معلَّلة بعلة معينة يدركها المكلف. كما قرر الشاطبي: "الأصل في العبادات بالنسبة إلى المكلف التعبد دون الالتفات إلى المعاني ، وأصل العادات الالتفات إلى المعاني [١] ، واستدل للأصل في العادات (المعاملات) الالتفات إلى العلل والمصالح والمقاصد بعدة أدلة نذكر منها : الاستقراء [٢] .

فقد قال الشاطبي في توضيح ذلك : " فإنا وجدنا الشارع قاصداً لمصالح العباد . والأحكام العادية (المعاملات تدور معه حيثما دار ، فترى الشيئ الواحد يمنع في حال لا تكون فيه مصلحة ، فإذا كان فيه مصلحة جاز كالدرهم بالدرهم إلى أجل يمنع في المتابعة ويجوز في القرض [٣] .

والمصالح التي قصدها الشارع في تشريع المعاملات هي مراعاة الضروريات والحاجيات والتحسينات ، فأصول المعاملات ترجع إلى حفظ المال – فهو من الضروريات الخمس – فمنع الإسلام من أكل المال بالباطل ومن سرقته ، وطالب بتنميته واستثماره ، وشرع من العقود والمعاوضات

---

* وكيل وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد ، المملكة العربية السعودية سابقاً .

[١] الموافقات ٢/٣٠٠ .

[٢] الاستقراء : تصفح جزئيات ذلك المعنى ليثبت من جهتها حكم عام قطعي أو ظني . انظر : الموافقات ٢/٢٩٨ .

[٣] الموافقات ٢/٣٠٥ .

من بيع وإجارة وسلم واستصناع لسد حاجة الناس ودفع الحرج والمشقة عنهم ، ولم يقف في تشريعه عند حد الضرورة أو الحاجة ، وإنما تعداها إلى الأمور التحسينية فوسع على الناس في معاشهم وعاداتهم فأباح لهم التزين والتجمل ، ونهاهم عن الإسراف والتبذير والتقتير ، وبناءً على ما سبق فإن كثيراً من الأحكام المتعلقة بالمعاملات تدور مع المصلحة التي قصدها الشارع من تشريع الحكم ، فإذا تغيرت المصلحة أو تغير موجب الحكم أو أصبح لا يحقق مقصود الشارع ينبغي تغيير الحكم وإلا كنا مناقضين لمقصود الشارع ، ولهذا قرر العز بن عبد السلام أن كل تصرف تقاعد عن تحصيل مقصوده فهو باطل [1] .

وقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن بيع الغرر ، في حين وجدنا من الفقهاء من أجاز من البيوع ما فيه غرر لا يفضي عادة إلى النزاع التفاتاً إلى علة النص وحكمته وقصده ، ونهى النبي صلى الله عليه وسلم عن بيع المعدوم ، في حين وجدنا الفقهاء أجازوا عقد الاستصناع ؛ وذلك لحاجة الناس إليه وجريان العمل به وقلة النزاع فيه .

والقاعدة الفقهية " التصرف على الرعية منوط بالمصلحة " ترسم حدود الإدارة العامة والسياسة الشرعية ، وتقيد صلاحية ولاة الأمور وتصرفاتهم بمقتضيات المصلحة العامة ، ملاحظة ألا تكون المصلحة متصادمة مع النص التشريعي الوارد في الكتاب والسنة ، فعلى سبيل المثال لا يسوغ لحاكم أن يبيح الربا أو العقود الفاسدة جرياً وراء العرف المتبع السائد بحجة أنه من باب المصلحة .

فالواقع أن هذه القاعدة وثيقة الصلة بمجال السياسة الشرعية . وقد عبَّر عنها تاج الدين السبكي بقوله : كل متصرف عن الغير فعليه أن يتصرف بالمصلحة [2] .

وعلى هذا الأساس " فإن مصلحة الناس إذا لم تتم إلا بالتسعير سعر عليهم تسعير عدل ، ولا وكس ، ولا شطط ، وإذا اندفعت حاجتهم وقامت مصلحتهم بدونه لم يفعل " [3] .

---

[1] قواعد الأحكام في مصالح الأنام ، ١٤٣/٢ .

[2] الأشباه والنظائر ، ٣١٠/١ .

[3] الطرق الحكمية في السياسة الشرعية لابن القيم : ص ٢٢٢ .

وفي جميع الولايات من الإمامة ، والقضاء ، والوصاية ، والنظارة أن الحق المخول للتصرف خاضع لهذا المبدأ ، وإلى هذا يشير ما نقله العلامة البعلي من اختيارات شيخ الإسلام ابن تيمية في النص الآتي : " كل متصرف بولاية إذا قيل له : افعل ما تشاء ، فإنما هو لمصلحة شرعية " [1] .

وذكروا من أمثلتها : أن تصرف القاضي في أموال الأيتام ، والصغار ، والمعتوهين ، والمجانين ، والأوقاف منوط بالمصلحة ، فلا تصح هبته شيئاً من مالهم ، ولا بيعه بغبن فاحش [2] .

ومن باب التطبيق عليها : أن " لصاحب الحسبة الحكم على من غش في أسواق المسلمين في خبز ، أو لبن ، أو عسل ، أو غيره من السلع . . . . " [3] .

ومما ينبغي ذكره بهذه المناسبة أن الإمام القرافي صاغ قاعدة تضارع هذه القاعدة المشروحة آنفاً من حيث الفحوى والمحتوى ؛ إذ يقول : " قاعدة : كل من ولي ولاية الخلافة فما دونها إلى الوصية لا يحل له أن يتصرف إلا بجلب مصلحة أو درء مفسدة . . . . " [4] .

وقال عقب إيراد بعض الفروع عليها : " فعلى هذه القاعدة يتخرج اختلاف الأحكام في الخصوم ، والمتهمين ، والجرائم ، وغيرها " [5] .

ومقتضى هذه القاعدة أنه لابد من ربط المناص ، والولايات ، والوظائف بالأكفاء المؤهلين للقيام بتبعاتها على أحسن وجه ، ومن ثم تنبني عليها قاعدة أخرى ، وهي كما قال القرافي : " يقدم في كل ولاية من هو أقوم بصلاحها ، فيقدم في الحروب من هو أعلم بسياسة الجيوش ومكائد الحروب ، وفي القضاء من هو أعلم بالأحكام ووجوه الحجاج ،

---

[1] الاختيارات : ص ١٧٦ .

[2] انظر : شرح المجلة للأتاسي ، ١٤٥/١ ، وقواعد الأحكام للعز بن عبد السلام ، ٧٥/٢ ، وقاله ابن نجيم في الأشباه والنظائر ، ص ١٢٥ .

[3] الطرق الحكمية لابن القيم ، ص ٢٢٧ .

[4] الذخيرة ، ٤٣/١٠ .

[5] المصدر السابق ، ٤٤/١٠ .

وفي الأيتام من هو أعلم بقيمة المال واستصلاح الأطفال [1] .

إذا كان الأصل في العبادات الحظر حتى يرد نص من الشارع بالطلب لئلا يحدث الناس في الدين ما ليس منه ؛ لقوله : " من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد " [2] ، وقوله : (لِتَأْخُذُوا مَنَاسِكَكُمْ) [3] ، فإن الأصل في المعاملات من عقود وشروط الإباحة ، فلا يمنع منها شيئ إلا ما منع بنص صريح الدلالة صحيح الثبوت . ويبقى ما عدا ذلك على أصل الإباحة . ويؤيد ذلك قوله : (قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا قُلْ آللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ) [4] .

نزلت هذه الآية في المشركين الذين يحرمون ما أباحه الله من الأطعمة والمعاملات ، المجرد عادات وأعراف تعودوا عليها وورثوها من الآباء والأجداد كالبحيرة والسائبة والوصيلة [5] .

(٥) فقه المعاملات يجمع بين الثبات والمرونة :

إذا كانت بعض أحكام المعاملات تتغير بتغير علة الحكم والمصلحة التي أنيطت به ، فإن البعض الآخر مقطوع بثباته وعدم تغيره مهما تغيرت الظروف والأحوال ؛ ولذلك فإن المعاملات في الإسلام تجمع بين الثبات والمرونة ، فالأحكام التي جاءت بها الشريعة الإسلامية لتكون كالأساس في بناء المعاملات اتسمت بسمة الثبات مثل التراضي في العقود والوفاء بها ، وحرمة الربا والغش والاحتكار ، والأحكام التي تتعلق بمقاصد الشريعة من تحقيق العدل ومنع الظلم وحفظ المال تتسم أيضاً بسمة الثبات ، وأما الأحكام التي تتعلق بالوسائل أو ثبتت باجتهاد مبني على عرف فلا مانع من تغييرها عند تغير الوسائل وتطورها وتغيير الظروف والأعراف ، فالنقود مثلاً وسيلة لتقويم السلع ، وقد كانت من الذهب

---

[1] الذخيرة ، ٤٢/١٠ .

[2] تقدم تخريجه ، ص ١٤٨ من هذا الكتاب .

[3] أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الحج ، باب استحباب رمي جمرة العقبة راكباً، ٩٤٣/٢ ، رقم ٢٢٨٦ .

[4] سورة يونس ، الآية ٥٩ .

[5] راجع تفسير ابن كثير ، ١٨١/٢ ، وتفسير الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ، ٣٥٤/٨ .

والفضة وأصبحت من المعادن والأوراق ، فتعتبر نقوداً شرعية ، ولو كانت من غير الذهب والفضة .

إن معرفة الثابت والمتغير في فقه المعاملات تعين الفقيه المعاصر في الحكم على المعاملات المعاصرة والصور المستحدثة .

(٦) الجهالة إنما توجب الفساد إذا كانت مفضية إلى النزاع المشكل [١] :

من المعلوم أن المنازعات والخصومات لها أثر كبير في فساد الأخلاق ، ولذا حسم التشريع الإسلامي جذور النزاع وسد منافذه بشتى الوسائل بسنّ القوانين ووضع الشروط المؤدية إلى تحقيق هذا الغرض ، ولما كانت الأموال من أعظم أسباب النزاع للغريزة المودعة في الإنسان من حب المال ، ضبط التشريع الحكيم العقود المالية بضوابط وقواعد تصون العقود من شوائب النزاع المشكل الذي يتعذر حسمه بين العاقدين ، عن بيع بحيث تتساوى فيه حجة الطرفين كبيع شاة من قطيع غنم .

وهذه القاعدة معبرة عن أحد شروط المبيع ، وهو أن يكون معلوماً لدى كلا الطرفين ، ولها سند من أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم ، ومنها ما ثبت في الحديث الصحيح من النهي الوارد الثمار قبل بدو صلاحها ، وإليك نص صحيح البخاري على النحو الآتي :

بَاب : بَيْعِ الثَّمَارِ قَبْلَ أَنْ يَبْدُوَ صَلاحُهَا ، وقال الليث عن أبي الزناد : كان عروة بن الزبير يحدث عن سهل بن أبي حثمة الأنصاري من بني حارثة أنه حدَّثه عن زيد بن ثابت ، قال : كان الناس في عهد رسول الله يتبايعون الثمار ، فإذا جَدَّ النَّاسُ وحضر تقاضيهم قال المُبْتَاعُ : إِنَّهُ أَصَابَ الثَّمَرَ الدُّمَانُ [٢] أَصَابَهُ مُرَاضُ أَصَابَهُ قُشَامُ [٣] – عَاهَاتٌ يَحْتَجُونَ بِهَا – فَقَالَ رَسُولُ اللَّه صلى الله عليه وسلم لما كَثُرَتْ عِنْدَهُ الْخُصُومَةُ فِي ذَلِكَ : " فَإِمَّا لا فَلا تتبايَعُوا حَتَّى يَبْدُوَ صَلاحُ الثَّمَرِ " كَالْمَشُورَةِ يُشِيرُ بِهَا لِكَثْرَةِ خُصُومَتِهِمْ " [٤] .

---

[١] انظر : الدرر شرح الغرر المنلا خسرو ، ١٥٥/٢ .

[٢] الدُّمَانُ : فساد الطلع وتعفنه وسواده ، انظر فتح الباري ٣٩٥/٤ .

[٣] قسام : والقشام شيئ يصيب الثمر حتى لا يرطب ، وقيل : هو آكال يقع في الثمر . انظر فتح الباري ٣٩٥/٤ .

[٤] صحيح البخاري ، كتاب البيوع ، باب بيع الثمار قبل أن يبدو صلاحها ، ٣٣/٣ .

فهنا توجيه النبي صلى الله عليه وسلم منبعث من واقع الخصومة التي كانت تقع بينهم ، وليس بخاف أن الجهالة على أنواع [1] ، وفي القضية الواردة في الحديث المذكور آنفاً بتبين أثر الجهالة في بقاء المبيع ، فإنه لا يمكن التأكد من سلامة الثمار قبل بدو صلاحها ولا يؤمن عليها التلف بسبب الجوائح .

ومن المسائل المهمة الشائعة التي تتخرج على هذا المبدأ : لو عقد أشخاص شركةً دون بيان كيفية تقسيم الربح بينهم فسدت الشركة ، جاء في (المجلة) " يشترط بيان الوجه الذي سيقسم فيه الربح بين الشركاء ، وإذا بقي مبهماً ومجهولاً تكون الشركة فاسدة " [2] ، والقاعدة هي أن كل شرط يوجب قطع الشركة في الربح أو يوجب جهالة فيه ، فإنه يفسد الشركة [3] .

(٧) العبرة في المعاملات بما في نفس الأمر لا بما في ظن المكلف :

هذه القاعدة تنص على تصحيح تصرفات المكلف في مجال العقود بالنظر إلى المآل وحقيقة الأمر ، بغض النظر عن ظن المكلف ، فإذا تصرف الإنسان في شيئ يظنه يملك التصرف فيه بملك أو توكيل ، ثم بعد التصرف تبين أنه لا يملك ذلك التصرف لم ينعقد العقد ، وإن كان الأمر بالعكس ، بأن ظن أنه لا يملك التصرف ، ثم بان أنه يملكه صح التصرف ؛ لأن المنظور إليه في المعاملات ما يظهر من التصرفات بخلاف العبادات [4] .

ومن الفروع التي وردت معللةً ومقرونةً بهذا الأصل ما جاء في النص الآتي : " من شروط المبيع أن يكون المبيع مملوكاً لبائعه وقت العقد ، وكذا الثمن ملكاً تاماً . . . أو أن يكون مأذوناً له في بيعه وقت إيجاب وقبول . . . ولو لم يعلم المالك أن المبيع ملكه ، بأن ظنه – أي ظن البائع المبيع لغيره – فبان أنه قد ورثه ، أو لم يعلم المأذون له بالإذن : بأن ظن

---

[1] انظر : الفروق للقرافي ٣/٢٦٥ – ٢٦٦ .

[2] مجلة الأحكام العدلية ، مادة : ١٣٣٦ ، مع شرح درر الحكام ، ٢/٤٩٠ – ٤٩١ .

[3] المعاملات المالية : ٢١٥ ، وشرح الأتاسي ، ٤/٣٣٤ .

[4] انظر : القواعد والأصول الجامعة للسعدي ، ص ١٠٦ ، القاعدة الرابعة والخمسون .

عدم الإذن ، فتبين أنه قد وكل فيه . صح البيع فيهما ؛ لأن الاعتبار في المعاملات بما في نفس الأمر ، لا بما في ظن المكلف "[1] .

(٨) التقييد في العقود إنما يُعتبر إذا كان مفيداً :

إنه من المقرر المحقق لدى الفقهاء والأصوليين أن المطلق يجري على إطلاقه ما لم يقيده دليل التقييد نصاً ، أو دلالةً ، ولكنه بجانب ذلك يلاحظ في التقييد أن يكون مفيداً يترتب عليه أثر ، وإلا فلا يؤبه به ، ولا ينظر إليه عند حصول النزاع بين المتعاقدين ، أو الطرفين ، ويبدو ذلك بجلاء من الفروع الكثيرة الواردة في (المبسوط) للسرخسي وغيره ، ومنها ما يلي : " إن استأجر رحى ماء على أن يطحن فيها الحنطة ، ولا يطحن غيرها ، فطحن فيها شعيراً ، أو شيئاً من الحبوب سوى الحنطة ، فإن كان ذلك لا يضر بالرحى فلا ضمان عليه وإن كان أضر عليها من الحنطة ضمنه ما نقصها ؛ لأن التقييد معتبر إذا كان مفيداً ، والخلاف على ما هو أضر عدوان منه ، فيلزمه ضمان النقصان . . . "[2] ، وكذا إذا أراد المستأجر أن يبدل محمله ليحمل محملا غيره ، فإن لم يكن في ذلك ضرر ، فله ذلك ؛ لما بينا أن التعيين الذي ليس بمفيد لا يكون معتبراً[3] .

ولنفوذ هذا الأصل في مسائل من الإجارة وما يرتبط بها من الضمان ، أو عدمه صاغت (المجلة) ضابطين يستوعبان الموضوع ، وهما كالآتي :

كل ما اختلف باختلاف المستعملين يعتبر فيه التقييد ، مثلاً لو استكرى أحد لركونه من له أن يركبها غيره أي ليس للمستأجر تجاوز القيد ، فإذا تجاوزه فتلف ما استأجر ، كان عليه الضمان .

كل ما لا يختلف باختلاف المستعملين فالتقييد فيه لغو مثلاً : لو استأجر أحد داراً على أن يسكنها ، له أن يسكن غيره فيها ، يعني أنه لو استأجر أحد داراً بشرط أن يسكنها هو ، منه إيجارها من غيره ، وإعارتها ؛ لاستيفاء المنفعة التي له أن يستوفيها . . . ، لأن السكنى لما لم تكن متفاوتةً لم يعتبر ذلك القيد ؛ لأنه غير مفيد .

---

[1] كشاف القناع ، ١٥٧/٣ ، وراجع حاشية الروض المربع ، ٣٤٠/٤ – ٣٤٣ .

[2] المبسوط ، ١٧/١٦ .

[3] المصدر السابق ، ٢٢/١٦ .

العملة الرقمية البيتكوين

في ميزان الشريعة الإسلامية

(الحلقة الثانية)

بقلم : الدكتور خورشيد أشرف إقبال (ناسك – الهند)

رابعاً : إيجابيات البيتكوين وسلبياتها :

(أ) إيجابيات البيتكوين :

هناك إيجابيات وسلبيات لكل شيئ في العالم ، وبالمثل العملة الرقمية البيتكوين ، فهي تتمتع بمجموعة من الخواص الإيجابية التي تشجع استخدامها والتعامل بها ، من أبرزها :

الحرية : تم تصميم بيتكوين مع وضع الحرية في الاعتبار ، والأهم من ذلك ، التحرر من السلطات الحاكمة التي تسيطر على المعاملات ، وتفرض الرسوم وتسيطر على أموال الناس . فعندما يتعلق الأمر بشراء الأشياء ، أصبحت العملات الرقمية شرعية تماماً مثل العملة الورقية في السنوات الأخيرة ، وبالنظر إلى وجود العديد من الأسواق العميقة على شبكة الإنترنت التي تقبل فقط بيتكوين ، فقد يمكنك شراء بعض الأشياء بشكل أسهل مع بيتكوين مقارنة بأي عملة أخرى .

القابليةً العالية للنقل : واحدة من الخصائص المتميزة للمال هو القابلية للنقل ، وهذا يعني أنه ينبغي أن يكون من السهل حمله واستخدامه ؛ ونظراً لأن بيتكوين رقمية تماماً ، فمن الناحية العملية يمكن حمل أي مبلغ من المال على محرك أقراص سريع أو حتى تخزينها على الإنترنت .

اختيار العمولة : هو إمكانية اختيار مبلغ رسوم المعاملة ، أو اختيار عدم دفعها على الإطلاق ؛ حيث يتم استلام رسوم المعاملة من قبل القائم بالتعدين ، بعد إنشاء كتلة جديدة مع هاش ناجح ، وعادة ما يدفع المرسل الرسوم كاملة ، في حين أن خصم هذا الرسم من المستلم يمكن اعتباره دفعة غير كاملة . وتكون رسوم المعاملات طوعية تماماً وهي بمثابة حافز للقائمين بالتعدين للتأكد من أن المعاملة الخاصة ستدرج في الكتلة الجديدة التي يتم توليدها .

لا توجد بطاقات دفع : عند استخدام البيتكوين ، لا توجد حاجة

للامتثال لمعايير مجال صناعة بطاقات الدفع ، والتي يمكن أن تسمح للمستخدمين التوسع إلى أسواق جديدة ، حيث تكون بطاقات الائتمان غير متوفرة أو مستويات الاحتيال مرتفعة بشكل غير مقبول . ونتيجة لذلك ، يحصل المستخدمون على عمولات أقل ، إلى جانب فرصة لتوسيع أسواقهم وخفض نفقاتهم الإدارية .

السلامة والتحكم : من يقوم باستخدام العملة البيتكوين يقدر على السيطرة على معاملاته؛ ولا أحد يستطيع سحب المال من حسابك دون علمك والموافقة على ذلك ، مثلما يحدث أحياناً مع طرق دفع أخرى ، ولا أحد يستطيع أن يسرق معلومات راتبك من التجار .

الشفافية والحيادية : كل معاملة واحدة وكذلك كل بت واحد من المعلومات حول هذا الموضوع يكون متاحاً دائماً للجميع في شبكة بلوكتشين ، والتي يمكن التحقق منها واستخدامها في الوقت الحقيقي . ويتم تشفير بروتوكول بيتكوين ، لذلك السبب لا يمكن لأي إنسان أو منظمة السيطرة عليه أو التلاعب به . كما أن الشبكة لامركزية ، لذلك لا يمكن لأحد السيطرة عليها إطلاقاً بشكل كامل . ولهذا سوف تكون بيتكوين دائماً محايدة وشفافة وقابلة للتنبؤ .

لا يمكن تزييفها : إحدى الطرق الأكثر شعبية في التزوير في العالم الرقمي هي استخدام نفس المال مرتين ، مما يجعل كلا من المعاملتين مزيفتين . ويسمى ذلك " الإنفاق المزدوج " . ولمواجهة هذا ، تستخدم بيتكوين ، تماماً مثل معظم العملات الرقمية الأخرى ، تقنية بلوكتشين فضلاً عن آليات الإجماع المختلفة المضمنة في جميع خوارزميات بيتكوين [1] .

(ب) سلبيات البيتكوين :

وبالمقابل لا يخلو أي شيئ من السلبيات ، فالعملة الرقمية البيتكوين تتسم بالعديد من السلبيات ، ولذا لا يحبذها كثير من الناس ، منها :

المسائل القانونية : يختلف وضع البيتكوين القانوني بشكل كبير من بلد إلى آخر . ففي بعض البلدان ، يتم تشجيع استخدام وتداول بيتكوين ، في حين يحظر استخدامها في بلدان أخرى ويحظرها القانون .

---

[1] انظر : عملة البتكوين ، عدنان فرحان ، ص ٥ – ٧ ،النقود الافتراضية مفهومها وأنواعها ، عبد الله الباحوث ، ص ٣٣ – ٣٤ ، عملة البتكوين ، راوية ، ص ١٨ وما بعدها ، العملات الافتراضية وأحكامها في الفقه الإسلامي ،حسين كامل عبد القادر ،ص ٣٥٧ ، مجلة الدراسات التاريخيية والحضارية ، المجلد ١١،العدد ١، https://cryptonews.com, cointelegraph.comhttps://ar, www.btcaraby.cm

وكان هناك الكثير من المخاوف بشأن جذب بيتكوين للمجرمين ، وقد ذكرت بعض وسائل الإعلام حتى إن شعبيتها ترجع كلياً إلى القدرة على إنفاقها على السلع غير المشروعة . وبالفعل عندما أغلقت السوق السوداء سيئة السمعة " سيلك رود " ، انخفضت بيتكوين على الفور في القيمة .

مستوى القبول : يتم قبول البيتكوين وهي قانونية تماماً في الكثير من البلدان ، ولكن بعض الحكومات في العالم لا تزال ليس لديها أي لوائح فيما يتعلق بتنظيم البيتكوين ، في حين أن هناك دولاً أخرى قد حظرتها صراحة ، ولا تزال غالبية الشركات التجارية ، مهما كانت كبيرة أو صغيرة ، غامضة تماماً ، ومن المستحيل تقريباً التخلي عن جميع العملات الأخرى والبدء في استخدام البيتكوين حصرياً .

المفاتيح الضائعة : المفتاح هو كلمة مرور أبجدية رقمية فريدة ضرورية للوصول إلى محفظة بيتكوين . ويعني فقدان هذا المفتاح بشكل رئيسي فقدان محفظتك . ومع ذلك ، فإن معظم المحافظ الحالية لديها آليات نسخ احتياطي واستعادة ، ولكن يلزم أن يقوم المستخدم بإعدادها قبل أن يكون قادراً على استخدامها .

التقلب : عانى سعر البيتكوين من التأرجح صعوداً وهبوطاً ، حيث مرَّ بدورات مختلفة من الارتفاع الهائل ومن ثم الهبوط ، والتي يشير إليها البعض بأنها فقاعات وفترات كساد . وطوال تاريخها بيتكوين نجحت بيتكوين في تسجيل ارتفاعات قياسية جديدة ، فقط لتنخفض بشكل هائل بعدها مباشرة . كما لا يمكن التنبؤ بقيمتها ، وهي تتغير بسرعة وبشكل كبير ، مما يمكن أن يتسبب في ضرر مالي كبير لأي مستثمر طائش .

التطوير المستمر : مستقبل البيتكوين غير واضح إلى حد ما ، وفي الوقت الحالي ، فإن الحكومات والبنوك غير قادرة على السيطرة على البيتكوين ، وهي تعتبر غير خاضعة للتنظيم تقريباً ، ومع ذلك ، فكلما نمت وزادت شعبيتها أكثر ، فإن المزيد من الحكومات في العالم تحاول أن تضعها تحت السيطرة ، بيد أن عملة البيتكوين الخاضعة للتنظيم والحكم ستكون نوعاً مختلفاً تماماً من العملة [1] .

خامساً : مخاطر البيتكوين ومثيلاتها :

بناءً على ما سبق من معلومات عن ماهية البيتكوين وانتشارها وخصائصها وما شابهها من العملات الرقمية ، يظهر لنا عدة مخاطر في

[1] انظر : المراجع السابقة نفسها .

التعامل بهذه العملة ، نحاول إيجازها فيما يأتي :

- يمكن فقدان العملة الرقمية من خلال الخرق الأمني ، أو خطأ المستخدم ، أو الفشل التكنولوجي في محفظة العملة الرقمية ، فعند حدوث ذلك ، فلا يمكن استعادة العملة الرقمية .
- يمكن لشخص ما حصل بطريقة احتيالية على بيانات الملكية الخاصة بصاحب محفظة النقود الرقمية – مثل كلمة السر – أن ينفق منها ، حينئذ لا يمكن عكس المعاملات في معظم العملات ، حتى لو كانت نتيجة الاحتيال أو الاستخدام غير المصرح به .
- في حالة تنفيذ مدفوعات بطريق الخطأ ، مثل الدفع إلى مستفيد آخر ، أو تحويل مبلغ غير صحيح ، أو عدم إتمام المعاملة في الوقت المناسب ، بسبب خطأ منصة محفظة العملة أو غيرها من الأسباب الفنية ، فإنه في معظم أنظمة العملات الرقمية ، لا يمكن عكس المعاملة الخطأ ، ولا يكون للمتعامل حق الرجوع على الأطراف الأخرى .
- لا تتوافر آلية تأمين لتعويض أصحاب المحافظ في حالة إخفاق المنصة الإلكترونية التي تنفذ عمليات المحفظة ، أو في حال الأعطال التي لا يمكن معها الوصول إلى المحفظة .
- العملات الرقمية هي عملات مُشفرة ، يتم تسجيل المعاملات والتعريف بهوية المستخدمين فقط من خلال " عناوين " رقمية افتراضية تصدرها أنظمة التعامل بالعملات الرقمية ، والتي لا يمكن أن تعكس الهوية الحقيقية للمتعاملين ، ومن ثم تعتبر معاملات العملات الرقمية أكثر مجهولية من الأنواع الأخرى من وسائل الدفع عبر الإنترنت ، لذلك يمكن إساءة استخدام العملات الرقمية ، كوسيلة لغسل الأموال وتمويل الإرهاب والتهرب الضريبي وغير ذلك من أشكال النشاط غير المشروع ، نظراً لصعوبة تتبع معاملات العملة الرقمية ، مما يجعل التعامل اكثر قابلية للاستخدام من قبل غاسلي الأموال أو ممولي الإرهاب [1] .

---

[1] انظر : عملة البتكوين Bitcoin النشأة والمفهوم ، راوية رافع واياس جرجيس ، ص ٢١ – ٢٢ ، البتكوين ماهيته ، عدنان الغل وأحمد ساحل ، ص ٣٠٤ – ٣٠٥ ، البتكوين نظام الدفع الإلكتروني ، مثنى النعيمي ، ص ٣٣ – ٣٤ ، موقع Tradingpeek المتحصص بالعملات https://goo.gl/xd٩٣gd

نبوءة وجود سبع قارات في الأحاديث

في ضوء القرآن والحديث والجغرافيا والجيولوجيا الحديثة

(الحلقة الأولى)

الأستاذ أنيس الرحمن الندوي *

في العصور القديمة ، لم يكن الإنسان على دراية بمفهوم القارات كما يتصوره اليوم . إن مفهوم القارات الموجود اليوم هو نتيجة آلاف السنين من البحث والتحقيق والاستكشاف . استمر اكتشاف قارات كوكب الأرض من العصور القديمة حتى القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلادي . رقم ذلك ، توجد في القرآن والأحاديث النبوية ، عبارات عن جغرافية أرضنا ، خاصةً القارات والمحيطات ، تبدو متوافقةً ومتناغمة تماماً مع الأبحاث والمفاهيم الجغرافية الحديثة ، ولها أهمية إعجازية قصوى في هذا الأمر . سنحاول في هذا المقال دراسة وفهم نصوص القرآن والحديث النبوي الشريف في ضوء العلم الحديث والاكتشافات الجغرافية ، مما سيعطي فكرةً عن قيمتها العلمية . قبل أن نقدم تحليل نصوص القرآن والحديث فيها ، إنه من الضروري إلقاء نظرة على المفاهيم الجغرافية السائدة في العصور القديمة وخاصةً في العصر النبوي .

وجهات النظر الجغرافية القديمة :

إن الآراء والمفاهيم البشرية عن الأرض وجغرافيتها قديمة قدم الوجود البشري على وجه الأرض . حتى إن أقدم المجتمعات والقبائل البشرية حاولت تكوين أفكار جغرافية وفقاً لفهمهم الخاص لجغرافيا كوكب الأرض . فإن المفاهيم الجغرافية للأمم القديمة التي وصلت إلينا كان من بينها المصريون والبابليون واليونانيون والهندوس والصينيون والرومانيون ، إلخ .

* الأمين العام ، الأكاديمية الفرقانية الوقفية ، ورئيس تحرير مجلة " تعمير الفكر " ، بنغالور (الهند) .

رأى قدماء المصريين في النيل على أنه مركز العالم ، وكان العالم كله قائماً على هذا النهر ، واعتبرت الواحات الواقعة في شرق وغرب هذا النهر أماكن لعديد من الآلهة [١] . بينما احتل نهر الفرات ومدينة بابل موقعاً مركزياً على خريطة العالم للبابليين . تظهر الخرائط المصرية والبابلية أن المصريين والبابليين كانوا على دراية بالأماكن المجاورة لهم فقط . لذلك لم يكن المصريون على دراية بأوروبا ، بينما اقتصرت الحدود الشمالية للخريطة البابلية على شرق الأناضول [٢] .

على عكس قدماء المصريين والبابليين ، يبدو أن المفكرين والجغرافيين اليونانيين يحملون أفكاراً ووجهات نظر مختلفة حول الأرض . ويبدو أن الفلاسفة اليونانيين القدماء لم يكن لديهم نظرية واحدة صلبة حول جغرافية أرضنا . على العكس من ذلك ، يبدو أن آراءهم في هذا الشأن تنمو مع تزايد عدد الفلاسفة . فوفقاً للفيلسوف اليوناني القديم هوميروس (القرن الثامن قبل الميلاد) ، إن العالم دائري ، محاط بمحيط كبير من جميع الجهات [٣] . يعتقد فيلسوف يوناني آخر ، طاليس (القرن السابع قبل الميلاد) ، أن العالم قائم على الماء ، وأن جميع الأشياء في عالمنا خلقت من هذه المياه . إن المعلومات الجغرافية لهيكاتيوس من ميليتس ، الجغرافي اليوناني من القرن السادس قبل الميلاد ، شملت مصر وبلاد فارس وآسيا الصغرى وبعض مناطق شمال إفريقيا والهند . يقال : إن فيثاغورس (القرن السادس قبل الميلاد) قد اقترح نظرية الشكل الكروي للأرض ، والتي تبناها فيما بعد أفلاطون (القرن الخامس قبل الميلاد) وأرسطو (القرن الرابع قبل الميلاد) .

قسم الإغريق القدماء العالم إلى ثلاثة أجزاء – أوروبا وآسيا وليبيا (إفريقيا) . شمل عالمهم المعروف شريطاً يضم المناطق الشمالية من

---

[١] Montet, Pierre, ٢٠٠٠, "Eternal Egypt", Phoenix Press

[٢] Lewy H., Lewy J., "The Origin of the Week and the Oldest West Asiatic Calendar", The Hebrew Union College Annual ١٧ (١٩٤٣), ١-١٤٦

[٣] Strabo, Geography, I, ١

إفريقيا ومناطق جنوب أوروبا والشرق الأوسط والمناطق المجاورة في آسيا . وفقاً لهم ، لم يتم تقسيم هذه القارات الثلاث حسب المحيطات ، بل كانت تقع على قطعة واحدة كبيرة من الأرض ، وقاموا بتقسيم هذه القطعة الضخمة من الأرض إلى ثلاث قارات عن طريق رسم حدود افتراضية . (انظر أدناه للحصول على التفاصيل) هذا يدل على أن مفهوم الإغريق للقارة كان مختلفاً عن المفهوم التقني الحديث للقارة . وفقاً لليونانيين ، كانت هذه القطعة الضخمة من الأرض محاطةً بمحيط عملاق .

على العكس من ذلك ، تُظهر خريطة العالم لعالم الفلك والجغرافيا المصري الشهير بطليموس (١٠٠ – ١٧٠م) محيطاً كبيراً ومنطقةً قاريةً كبيرةً . الاختلاف الوحيد بين خريطة العالم لبطليموس هذه والخرائط اليونانية السابقة هو أنه في خريطة بطليموس ، كان البحر في المنتصف ، وكانت المنطقة القارية محاطةً به من جميع الجهات (انظر الشكل ٢) ، بينما في الخرائط اليونانية السابقة كان الجزء القاري في المنتصف (انظر الشكل ٢) ، وكان البحر يحيط بها من جميع الجهات (انظر الشكل ١) .

تظهر آراء الفلاسفة اليونانيين حول أرضنا أن معرفتهم بجغرافيا الكوكب لم تكن مبنيةً على البحث والاستكشاف ، بل كانت مجرد خيال وتكهنات . لأنه لم يزعم أي منهم أنه اكتشف كوكب الأرض لا بالكامل ولا على نطاق واسع على الأقل . هذا هو سبب وجود اختلافات كبيرة في أفكارهم ووجهات نظرهم الجغرافية .

الشكل ١: خريطة العالم ليهكاتيوس ميليتس والتي أعيد بناؤها لاحقًا

الشكل ٢: خريطة العالم لبطليموس التي أعيد بناؤها في القرن الخامس عشر الميلادي

مفهوم الربع المعمور الأقاليم السبعة :

لما يقرب من سبع مائة عام بعد بطليموس ، لم يتم إحراز أي تقدم في مجال الجغرافيا . خلال العصر العباسي في القرن الثامن الميلادي ، حقق المسلمون تقدماً مهماً للغاية في علم الجغرافيا . فهذا الموضع لا يناسب للخوض في تفاصيلها . سيتم إجراء دراسة شاملة حول هذا الموضوع في مقال منفصل . ولكن من المهم هنا أن نضع في اعتبارنا أن الجغرافيين المسلمين لم يثبتوا فقط أن الأرض كروية ، بل بدأوا أيضاً في الإسقاط الكروي للخرائط الأرضية لأول مرة . في هذا الأمر ، تظهر ملاحظات الجغرافيين المسلمين في هذا الصدد أنه حتى القرن الثاني عشر الميلادي ، كان الإنسان على دراية بربع الكرة الأرضية فقط ، والذي كان يُطلق عليه اسم الربع المعمور أو الربع المسكون (نصف الكرة الشمالي) من كوكب الأرض . ثم كان الجغرافيون القدماء يقسمون هذا الربع من خط الاستواء إلى القطب الشمالي إلى سبعة مناطق متساوية من الشرق إلى الغرب واصفين إياها سبع مناطق مناخية ، وأطلقوا عليها اسم الأقاليم السبعة [1] ، يمكن فهم هذا الربع المعمور من الأرض بشكل واضح من خريطة الجغرافي الشهير الإدريسي (المتوفى ١١٦٥م) حيث رسم خريطة للعالم المعروف آنذاك من أوروبا الغربية إلى اليابان ومن سيبيريا إلى المناطق الشمالية من إفريقيا وعرضه على الكرة الأرضية [2] .

الشكل ٣: خريطة العالم للإدريسي (القرن الثاني عشر الميلادي) التي تُظهر الربع المعمور من الكرة الأرضية.

[1] كشاف اصطلاحات الفنون ، محمد أعلى التهانوي ، ص ٣٠٧ ، التنبيه والإشراف، المسعودي ، ص ٢٣ – ٢٤ .

[2] كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ، الإدريسي ، مكتب الثقافات الدينيات ، بور سعيد ، مصر .

ذكر سبع قارات في الأحاديث :

كانت هذه لمحة عامة عن الأفكار والمفاهيم الجغرافية لمختلف الحضارات القديمة في العالم ، مما يدل على أن الإنسان لم يكن يدرك سوى جزء محدود من كوكبنا في العصر النبوي (القرن السابع الميلادي) . ليس حتى العصر النبوي ، ولكن حتى القرن الثاني عشر الميلادي ، كان الإنسان على دراية بربع كوكب الأرض فقط ، والذي يشمل أجزاء من قارات أوروبا وآسيا وإفريقيا . تم اكتشاف قارات أمريكا الشمالية وأمريكا الجنوبية وأستراليا وأنتاركتيكا (القارة القطبية الجنوبية) وغرينلاند لاحقاً ، والتي ستتم مناقشتها في هذه المقالة بالتفصيل لاحقاً .

ومع ذلك ، فإن الأحاديث تحتوي على عبارات واضحة عن القارات السبع والمحيطات السبعة ، بالإضافة إلى عدد من السمات الجغرافية والجيولوجية الهامة الأخرى لكوكب الأرض ، والتي وُجدت متوافقةً تماماً مع البحوث والاكتشافات الجغرافية الحديثة ، مما يؤكد الإعجاز العلمي للقرآن والأحاديث في هذا الشأن . هدفنا هنا هو تقديم دراسة علمية لمختلف الأحاديث المتعلقة بالقارات السبع والمحيطات السبعة . وستعرض هنا دراسة تفصيلية لجميع هذه الأحاديث المروية في هذا الباب .

من الأحاديث المتعلقة بالقارات السبع والمحيطات السبعة ، ما رواه أبو الشيخ بن حيان (م ٣٦٩هـ) عن وهب بن منبه ، وهو كما يأتي :

أخرج أبو الشيخ عن وهب قال : إنها سبعة أبحر وسبع أرضين والأرض على ظهر الحوت واسم الحوت بهموت [١] .

يوضح هذا الحديث بعض أهم الحقائق والنظريات في كل من الجغرافيا والجيولوجيا . بعضها مذكور صراحةً ، والبعض الآخر مذكور كنايةً . في هذا الحديث ، تم وصف حقيقتين في الجغرافيا وإحدى أهم

[١] الهيئة السنية ، جلال الدين السيوطي ، ص ٧٤ .

نظريات في الجيولوجيا ، وهي على النحو التالي :

١. توجد سبعة محيطات على وجه الأرض .
٢. وبالمثل توجد هناك سبع قارات عليها .
٣. أرضنا تقع على ظهر سمكة .

سيتم مناقشة النقطة الأولى والثالثة من هذه النقاط الثلاث لاحقاً في هذه المقالة . سنناقش النقطة الثانية أولاً هنا .

المعنى اللغوي لكلمة الأرض :

في الحديث أعلاه ، تم استخدام كلمة " أرض " في صيغتين . إحداهما في صيغة الجمع " سبع أرضين " والآخر في صيغة المفرد " الأرض " . إنه يدل على معانٍ مختلفة في كلا المكانين . تشير " سبع أرضين " إلى القارات السبع ، بينما تشير الصيغة المفردة " الأرض " إلى الطبقة العليا من كوكبنا ، أي الغلاف الصخري lithosphere الذي ستتم مناقشة تفاصيله لاحقاً . لفهم هذا الاختلاف الدلالي لكلمة " الأرض " ، من الضروري فهم المعاني اللغوية لكلمة " الأرض " أولاً .

في الواقع ، إن كلمة " الأرض " في اللغة العربية هي كلمة واسعة وبليغة ، شبيهة بكلمة " السماء " التي لها معانٍ متنوعة وشاملة . لذلك فإن نطاق دلالاته يشمل كل ما هو أدنى من الإنسان . إن جميع القواميس العربية الكلاسيكية المهمة تقريباً تُعرّف كلمة " الأرض " على النحو التالي :

كل ما سفُل فهو أرض [١] .

أرض يعبر بها عن أسفل الشيئ كما يعبر بالسماء عن أعلاه [٢] .

يتضح من التعريفات السابقة لكلمة الأرض أنه مثلما تستخدم كلمة " السماء " في اللغة العربية للإشارة إلى كل كائن أعلاه (السحاب ، والغلاف الجوي ، والهواء ، والسماء ، والجرم السماوي ، والنجوم ، والكواكب ،

[١] معجم الصحاح ، الجوهري ، ص ٣٧ ، لسان العرب ، ابن منظور ، ج ١ ، ص ٨٧ ، تاج العروس ، الزبيدي ، ج ١٨ ، ص ٢٢٦ .
[٢] المفردات في غريب القرآن ، راغب أصفهاني ، ص ١٦ .

والكون ، وما إلى ذلك) وهي كلمة شاملة ، وبالمثل إن كلمة " الأرض " هي كلمة شاملة تُستخدم للإشارة إلى كل ما هو أدناه . لذلك ، وفقاً لهذا التعريف اللغوي لكلمة الأرض ، يمكن تطبيق معناها على كوكب الأرض ، والقارة ، والقشرة الأرضية ، والبلد ، والأرض ، والتربة ، والجزيرة ، وقطعة من الأرض ، وما إلى ذلك . وبالمثل تُستخدم كلمة " الأرض " بمعنى آخر ، أي للإشارة إلى مكان مليئ بالخضرة والنباتات .

أرض، يأرض ، أرضاً (المكان) كثر عشبه وازدهى وحسن في العين [١] .

أرِض ، يأرَض ، أرضاً كثُر نبتها وحسن مرآها [٢] .

أرضٌ أريضة أي حسنة النبت وتأرض النبت تمكن على وجه الأرض فكثُر [٣] .

لذلك ، يمكن تطبيق كلمة " الأرض " لغوياً على مكان مليئ بالخضرة والنباتات . فمن هذه الناحية تسمى الأرض أرضاً لأنها قادرة على زراعة الغطاء النباتي . وفقاً للمعنى اللغوي لكلمة " الأرض " هذه ، تشير كلمة " الأرض " ضمناً إلى مجموعة متنوعة من الأشياء : قطعة أرض وقارة وكواكب (كواكب يوجد فيها إمكانية للخضرة والغطاء النباتي بسبب وجود الماء) . ومن ثم ، سيتم تطبيق معنى " الأرض " اعتماداً على سياقه . تم استخدام كلمة " الأرض " في الحديث أعلاه في كلا معاني " القارة " والغلاف الصخري للأرض lithosphere [٤] .

(للبحث صلة)

---

[١] المنجد .

[٢] المعجم الوسيط .

[٣] المفردات في غريب القران ، الراغب الأصفهاني .

[٤] ناقش الكاتب هذا الموضوع بالتفصيل بأمثلة من القرآن الكريم والأحاديث النبوية في مقال بعنوان " دلالات الكلمتين الأرض والسماء وإعجازها العلمي " ، منشور في مجلة " التحقيقات الإسلامية " ، أكتوبر – ديسمبر ٢٠١٣م ، عليكرة ؛ ومجلة تعمير الفكر ، مارس – أبريل / مايو – يونيو ٢٠١٤م ، الأكاديمية الفرقانية ، بنغالور .

حاجة العلوم الإسلامية إلى علم القواعد العربية

(الحلقة الأولى)

بقلم : الباحث صابر علي شيخ العمري *

جاء في الحديث : " مفتاح الجنة الصلاة ، ومفتاح الصلاة الطهور " [1] ويقول الحكماء : قد جعل الله لكل مطلوب مفتاحاً ، يفتح به ، فجعل مفتاح العلم السؤال ، وحسن الإصغاء ، ومفتاح الرزق السعي مع الاستغفار " [2] وبناءً على ذلك فإن مفتاح العلوم الشرعية ، هو علوم اللغة العربية ، فمن لا يجيدها لا يستطيع الخوض في مجال استنباط الأحكام الشرعية ، أو الفتوى في الدين . والعلاقة بين العلوم الشرعية وعلوم اللغة العربية قديمة ، وقد نبتت جذورها منذ نزول القرآن الكريم ، وصارت أواصر تلك العلاقة وثيقةً إلى يومنا هذا ، وستستمر قويةً بإذن الله إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، وعلى مستوى أثر اللغة العربية في استنباط الأحكام الشرعية ، فقد عُني علماء أصول الفقه الإسلامي باستقراء الأساليب العربية وعباراتها ، ومفرداتها ، واستمدوا من هذا الاستقراء ، ومما قرره علماء اللغة أيضاً ، قواعد وضوابط ، يتوسل بمراعاتها ، إلى النظر السليم في الكتاب والسنة ، وفهم الأحكام منهما ، فهماً صحيحاً ، يطابق ما يفهمه العربي الذي جاءت النصوص بلغته . وتوقف الطيبي عند هذه الآية الكريمة (وعلَّم آدَمَ الأسْمَاءَ كلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ على الْملائكَة فقَال أنْبئُوني بأسْمَاء هَؤُلاء إنْ كُنْتُمْ صادقين) [سورة البقرة : ٣١] فقال : " أَفادَت هذه الآية : أنَ علم اللغة فوق التحلي بالعبادة فكيف علم الشريعة [3] .

وتأسيساً على ذلك قرروا أن من شروط المجتهد أن يكون عالماً باللغة العربية وأحوالها ، محيطاً بأسرارها وقوانينها ، ملماً إلماماً جيداً

---

* قسم اللغة العربية وآدابها في جامعة عالية ، كولكاتا ، الهند .

[1] أخرجه أحمد ، برقم ١٤٦٦٢ ، والترمذي ، برقم ٤ ، وحسنه الإمام الألباني .

[2] انظر الحدادي ، أبو النصر أحمد بن محمد بن أحمد السمرقندي ، المدخل لعلم تفسير كتاب الله تعالى . تحقيق ، داوودي ، صفوان عدنان ، دمشق ، دار القلم ، وبيروت ، دار العلوم ، الطبعة الأولى ، ص ٢٨ وما بعدها .

[3] الإكليل في استنباط التنزيل ، لجلال الدين السيوطي ، تحقيق : الغماري ، دار الكتاب العربي ، الجزائر ، ص ١٦ – ١٧ .

بأساليب العرب في الكلام ، ليتوصل إلى إيضاح ما فيه خفاء النصوص ، وإلى رفع ما قد يظهر بينها من تعارض . ولا يمكنه ذلك ولا سيما في عصرنا الحاضر ، إلا بتعلم اللغة العربية ، وإتقان علومها .

وتكمن أهمية اللغة العربية لدراسي أصول الفقه الإسلامي ، في أن علماء الأصول قد اختلفوا في مسائل كثيرة تتعلق باللغة العربية ودلالات ألفاظها ، واستعمالاتها . وكان لهذا الاختلاف أثر كبير في إصدار الأحكام الشرعية ، واختلاف الفقهاء فيها .

كما أن فهم النص وإدراك حكمته لاستنباط الأحكام يتأثر بطبيعة اللغة العربية ، كما يتأثر بطريقة المجتهدين في معالجة تلك النصوص ، فقهياً ، واستنباط الأحكام منها [1] .

وبذلك تشكل علوم اللغة العربية سطر علم أصول الفقه ، حيث يقوم على دعامتين أساسيتين ، هما :

مباحث الاستدلال ، ومباحث الألفاظ ، وتتناول مباحث الاستدلال كيفية استنباط الحكم ، بتتبع الدليل ، أما مباحث الألفاظ فتختص بمعالجة قضايا المباحث اللغوية ، وبذلك ظلت اللغة العربية أساساً لفهم كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ، والأحكام الشرعية المستنبطة منهما ، من ثم أصبح الاهتمام بها جزءاً من الاهتمام بالشريعة . فلا بد من العلم بالعربية لمن يحاول استنباط الأحكام الشرعية من أدلتها التفصيلية .

كما تقوم أصول الاجتهاد على ركنين أساسيين هما : حذق اللغة ، وفهم مقاصد الشريعة على كمالها [2] ، وقد أدرك علماء أصول الفقه الإسلامي أهمية أثر اللغة العربية في استنباط الأحكام الشرعية ، فجعلوا من أولى شروط المجتهد العلم باللغة العربية ، واتفقوا على أن يكون المجتهد على علم وافر باللغة العربية ، لأن القرآن الذي نزل بهذه الشريعة عربي ، والسنة التي بيانه ، جاءت بلسان عربي مبين .

ولقد اشترط الإمام الغزالي العلم الدقيق ، التبحر في اللغة ، فحينما تناول القدر الذي يجب معرفته من العربية ، قال : " إنه القدر الذي

---

[1] أثر اللغة في اختلاف المجتهدين ، عبد الوهاب عبد السلام طويلة ، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع ، ط ٢ ، ص ٤ وما بعدها ، ٢٠٠٠م .

[2] أصول الفقه الإسلامي ، وهبة الزحيلي ، الجزء الأول ، ط ١ ، ص ٦ وما بعدها ، دار الفكر ، دمشق ، ١٩٨٦م .

يفهم به خطاب العرب ، وعاداتهم في الاستعمال حتى يتميز بين صريح الكلام ، وظاهره ومجمله ، وحقيقته ومجازه ، وعامه وخاصه ، ومحكمه ومتشابه ، ومطلقه ومقيده ، ونصه وفحواه ، ولحنه ومفهومه ، وهذا لا يحصل إلا لمن بلغ في اللغة درجة الاجتهاد "[1] .

وبناءً على ذلك يتطلب من المتصدرين لقضايا الإفتاء ، وتدريس مادة أصول الفقه ، الإلمام بأصول العلوم اللغوية التي لها اتصال بكلام الله عز وجل ، ورسوله صلى الله عليه وسلم ، فإذا نفذ الفقيه ، أو المفتي أو المجتهد إلى معرفة علم أصول اللغة العربية ، استطاع أن يستنبط الفتوى والأحكام من النصوص الشرعية [2] . وقد حددها علماء أصول الفقه في الآتي :

(١) علم النحو : بما يحسن به الإعراب على الأصول المسلمات والراجحات من غير احتياج للتعمق في خلاف النحاة .

(٢) علم التصريف : بما يحسن به ما تعود إليه أصول الكلمات مع ما يتغير به ضبطها بسبب الاشتقاق ، لما يقع له من التأثير كثيراً على اختلاف الدلالات والمعاني .

(٣) علم البلاغة : بالمقدار الذي يتمكن فيه من معرفة وجوه المعاني ، وما تتخرج عليه الأساليب العربية من الاستعمالات ، كدلالات : الخبر ، والإنشاء ، وتأثير التقديم والتأخير ، والحذف والذكر ، والتعريف والتنكير ، والوصل والفصل ، والإيجاز والإطناب ، والحقيقة والمجاز ، والتشبيه والاستعارة ، وغير ذلك .

(٤) علم الحروف : والمقصود به الحروف التي هي من أقسام الكلام مثل : حروف الجر ، والعطف ، لا حروف المباني التي تتركب منها المفردات . وذلك ليعلم المجتهد بما تدل عليه الحروف من المعاني ، ليدرك وجوهها في نصوص الكتاب والسنة مثل : معرفة معاني حروف العطف ، وما تقتضيه

---

[1] المستصفى ، للغزالي ، ت محمد عبد السلام عبد الشافي ، دار الكتب العلمية ، ط ١ ، ١٩٩٣م ، ص ٣٤٤ .

[2] نظرات لغوية في القرآن الكريم ، صالح بن الحسين العايد ، دار كنوز إشبيليا ، الرياض ، ط ٣ ، ص ٣٨ وما بعدها . وكذلك كتاب الفتوى : نشأتها ، وتطورها – أصولها وتطبيقها – لحسين محمد الملاح ، دار الكتب العصرية ، بيروت ، ط ١ ، ص ٥٩٦ .

من المغايرة بين المعطوف والمعطوف عليه ، أو الاشتراك أو الترتيب ، أو التراخي ، أو التخيير [1] .

يترتب على ذلك ضرورة سعة المعرفة اللغوية بأساليب اللغة العربية لدى المتخصصين في الدراسات الشرعية عامة ، والمهتمين بدراسة وتدريس مادة أصول الفقه على وجه الخصوص .

ويمكن القول بقدر سعة معرفة اللغة العربية ، وتضافرها مع العلوم الشرعية ، وغيرها من العلوم الإنسانية ، تكون المعرفة بالأحكام الشرعية عامة ، الأحكام الفقهية خاصة ، والقدرة على تنزيلها على وقائع حياة الناس ، وبدون ذلك لا تتوافر للمجتهد والمتخصص ، المعرفة الكافية بأصول الاستدلال اللغوي والشرعي .

ويظهر أثر قواعد اللغة العربية في استنباط الأحكام الشرعية ، في أن الأحكام الشرعية تتأثر بتعدد الألفاظ ، والأسماء لمسمى واحد ، فقد نص الفقهاء على أن لفظ الطلاق ، والفراق والسراح ، كلها ألفاظ دالة على حل العقدة الزوجية ، وحينئذ بأي لفظ منها خاطب الرجل زوجته ، فإنها تطلق منه ، لأن مادة : طلق ، وفرق ، وسرح ، تجتمع في الدلالة على فك القيد ، والزواج قيد تفكه واحدة من تلك الألفاظ [2] .

كما أن اللفظ الواحد قد يحمل دلالة متعددة في المعنى ، مما يترتب عليه ، اختلاف في الحكم الشرعي بين العلماء والفقهاء .

فالعلاقة بين العلوم الشرعية وعلوم اللغة العربية وطيدة وقديمة ، ونسباً وصهراً . وأن العربية ما كانت لها هذه المنزلة إلا بالإسلام ، كما أن الله جعل العربية لسان الوحيين (القرآن والحديث) حيث قال الله تبارك وتعالى في محكم تنزيله : (إِنّا أَنْزَلْناهُ قُرآنًا عربيًا لَعَلّكُم تَعْقِلُوْنَ) [سورة يوسف : ٢] .

والرسول صلى الله عليه وسلم أفصح من نطق بالضاد ، وخاطب قومه العرب بلسانهم الشريف كما قال الله عز وجل شأنه في القرآن المجيد : (ومَا أَرْسَلْنا مِنْ رَّسُولٍ إلّا بِلسَانِ قَومِه لِيُبيِّنَ لهم . . . .) [سورة إبراهيم : ٤] .

---

[1] علاقة الشريعة باللغة العربية من بحوث مؤتمر علوم الشريعة في الجامعات ، لعبد القادر السعدي ١٩٩٥م ، نشر المعهد العالي الفكري الإسلامي ، عمان ، الجزء الأول ، ص ٢٢٣ وما بعدها .

[2] تيسير أصول الفقه ، لعبد الله بن يوسف الجديع ، ٢٠٠٠م ، مؤسسة الريان للطباعة والنشر ، لبنان ، ط ٢ ، ص ٣٨١ وما بعدها .

وهكذا فإن الأساسين الأوّلين لهذا الدين – الكتاب والسنة – هما باللغة العربية ، ولا يمكن فهمهما ، ومعرفة أسرارهما ، واستنباط الأحكام منهما لغير المتمكّن من هذه اللغة المباركة .

قد أدرك الأئمة الأقدمون أهمية اللغة العربية في فهم كلام الله سبحانه وتعالى وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم ، فهذا الإمام الشافعي رحمه الله يقول عنه زوج ابنته : " أقام الشافعي علم العربية وأيام الناس عشرين سنة ، فقلنا له في هذا ، فقال : ما أردت بهذا إلا استعانة للفقه " [1] . أي : ظل عشرين سنة يتبحر في اللغة العربية وعلومها ليفقه ويفهم القرآن والحديث ، ولا يستغرب منه هذا ، فهو الذي يقول : " أصحاب العربية جِنّ الإنس ، يُبصرون ما لم يبصر غيرهم " [2] . وقال أيضاً : " من تبحر في النحو اهتدى إلى كل العلوم " [3] .

وكان علماء الدين يقولون : " من تكلم في الفقه بغير لغة تكلم بلسان قصير " .

فبمقدار العلم باللغة العربية كان كذلك في الشريعة . يقول أبو إسحاق الشاطبي رحمه الله : " إن الشريعة عربية ، وإذا كانت عربية ، فلا يفهمها حق الفهم إلا من فهم اللغة العربية حق الفهم ، لأنهما سيان في النمط ما عدا وجود الإعجاز . فإذا فرضنا مبتدئاً في فهم العربية فهو مبتدئ في فهم الشريعة ، أو متوسطاً فهو متوسط في فهم الشريعة . والمتوسط لم يبلغ درجة النهاية ، فإن انتهى إلى درجة الغاية في العربية كان كذلك في الشريعة ، فكان فيها حجة كما كان فهم الصحابة رضي الله عنهم وغيرهم من الفصحاء الذين فهموا القرآن حجة ، فمن لم يبلغ شأوهم ، فقد نقصه من فهم الشريعة بمقدار التقصير عنهم ، وكل من قصر فهمه لم يعد حجة ، ولا كان قوله فيها مقبولاً " [4] .

ضرورة اللغة العربية وحاجتها لفهم مراد الله وسنة نبيه الكريم صلى الله عليه وسلم أضحت ضربة لازب ، هذا هو الشيئ الذي يضطر المسلمين إلى تعلم اللغة العربية وعلومها . قال الإمام الجليل الشافعي رحمه الله رحمة واسعة : " لأنه لا يعلم من إيضاح جمل علم الكتاب ، أحد جهل

---

[1] الفقيه والمتفقه ، للخطيب البغدادي ٢/٤١ .
[2] آداب الشافعي ومناقبه ، الرازي ١٥٠ .
[3] شذرات الذهب ، لابن العماد الحنبلي ، ص ٢٣١ .
[4] الموافقات للشاطبي : ٤/١١٥ .

سعة لسان العرب ، وكثرة وجوهه ، وجماع معانيه وتفرقها . ومن علمها انتفت عنه الشبَه التي دخلت على من جهل لسانها "[1] .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى : " فمعرفة العربية التي خوطبنا بها مما يعين على أن نفقه مراد الله ورسوله بكلامه "[2] .

وقال أيضاً : " فإن النفس اللغة العربية من الدين ، ومعرفتها فرض واجب ، فإن فهم الكتاب والسنة فرض ، ولا يفهم إلا بفهم اللغة العربية ، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب " . ثم منها ما هو واجب على الأعيان ، ومنها ما هو واجب على الكفاية .

وهذا معنى ما رواه أبو بكر بن أبي شيبة : حدثنا عيسى بن يونس ، عن ثور ، عن عمر بن يزيد قال : " كتب عمر رضي الله عنه إلى أبي موسى الأشعري رضي الله عنه : أما بعد ، فتفقهوا في السنة وتفقهوا في العربية ، وأعربوا القرآن ، فإنه عربي "[3] . وفي حديث آخر عن عمر رضي الله عنه أنه قال : " تعلموا العربية ، فإنها من دينكم ، وتعلموا الفرائض ، فإنها من دينكم " . وهذا الذي أمر به عمر رضي الله عنه من فقه العربية ، وفقه الشريعة ، يجمع ما يحتاج إليه ، لأن الدين فيه فقه أقوال وأعمال، ففقه العربية هو الطريق إلى فقه أقواله . وفقه السنة هو الطريق إلى فقه أعماله "[4] .

وقال ابن عطية معلقاً على بعض الآثار الداعية لإعراب القرآن : " إعراب القرآن أصل في الشريعة ، لأن بذلك تقوم معانيه التي هي الشرع "[5] .

الدعوة إلى التدبر في القرآن :

لقد وردت نصوص كثيرة تدعو قراء القرآن للتدبر ، فكيف يحصل تدبر القرآن بغير المرور على قنطرة اللغة العربية !؟ فالأمر بالتدبر هو في حد ذاته أمر بتعلم اللغة العربية . ومن هنا رسمت العلاقة بين اللغة العربية والشريعة الإسلامية . من تلكم النصوص :

---

[1] الرسالة للشافعي ، ص ٥٠ .

[2] مجموع الفتاوى ١١٦/٧ ، جمع وترتيب عبد الرحمن بن قاسم وابنه ، ط مكتبة النهضة الحديثة بمكة المكرمة ، ١٤٠٤هـ .

[3] رواه ابن أبي شيبة في فضائل القرآن ، رقم ٣٠٥٣٤ .

[4] اقتضاء الصراط المستقيم ، ص ٢٠٦ – ٢٠٧ ، تحقيق محمد حامد الفقي ، مطبعة السنة المحمدية ، ط ٢ ، القاهرة .

[5] مقدمتان في علوم القرآن لآرثر جيفري ، ص ٢٦٠ ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ١٩٧٢م .

قوله تعالى : [سورة ص : ٢٩] (كتابٌ أنزلناه إليك مباركٌ لِيَدَّبَّرُوا آياته ولِيَتذكّرَ أُولوا الألباب) .

وقوله تعالى : [سورة محمد : ٢٤] (أفَلا يتَدبَّرونَ القرآنَ أمْ عَلى قُلوبِهِمْ أقْفَالُها) .

وقوله تعالى : [سورة النساء : ٨٢] (أفَلا يتَدبَّرونَ القرآنَ وَلَوْ كانَ مِنْ عنْد غَيْر الله لَوَجَدُوا فيه اخْتلافاً كثيراً) .

اَللغَة اَلعرَبية والشَرَيعة الإسلامية ، علاقة الوسيلة بالغاية :

من خلال تساؤلنا عن العلاقة القائمة بين الوسيلة والغاية ، وبين الوعاء والمحتوى ، تتبين الصلة الوثيقة بين اللغة العربية والشريعة الإسلامية ، وأن الاهتمام بالشريعة الإسلامية من غير اللغة العربية شبيه بمحاولة إدراك الغاية من غير الوسيلة ! وأن دراسة اللغة العربية بعيداً عن الشريعة الإسلامية هي تحويل للوسيلة وجعلها غاية ، وفي ذلك التوضيح تأكيد منه للعلاقة الوطيدة بينهما [١] .

فإن العلامة الشاطبي يقول : " إذا فرضنا مبتدئاً في فهم العربية فهو مبتدئ في فهم الشريعة ، أو متوسطاً فهو متوسط في فهم الشريعة ، والمتوسط لم يبلغ درجة النهاية ، فإن انتهى إلى درجة الغاية في العربية كان كذلك في الشريعة " [٢] . فالعلاقة بينهما طردية ، وهي كما نص عليها نفسه علاقة " المقصد بالوسيلة " [٣] .

يقول الزمخشري : " وذلك أنهم لا يجدون علماً من العلوم الإسلامية ، فقهها وكلامها ، وعلمي تفسيرها وأخبارها ، إلا وافتقاره إلى العربية بيّنٌ لا يدفع ، ومكشوف لا يتقنع ، وكذلك الكلام في معظم أبواب أصول الفقه مبني على علم الإعراب " [٤] .

وقال مالك بن أنس رحمه الله تعالى رحمةً واسعةً : " لو صرت من الفهم في غاية ، ومن العلم في نهاية ، لأن ذلك يرجع إلى أصلين : كتاب

---

[١] توفيق أسعد حمارشة (علاقة علوم الشريعة باللغة العربية) بحزث مؤتمر علوم الشريعة في الجامعات ، ١٨١/١ . والنص الشرعي وتأويله ، الشاطبي أنموذجاً ، د . صالح سبوعي ، ٣٦ ، كتاب الأمة عدد ١٢٧ ، ص ٣٦ .

[٢] الموافقات للشاطبي ، ١١٥/٤ .

[٣] الاعتصام ، ٥٠١/٢ ، ضبط وتصحيح أحمد عبد الشافي ، ط ٢ ، دار الكتب العلمية بيروت ، ١٩٩١م .

[٤] المفصل في علب الإعراب ، أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري ، ص ١٨ .

الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ، ولا سبيل إلى الرسوخ فيهما إلا بمعرفة اللسان العربي ، فلو أن الرجل يكون عالما بسائر العلوم ، جاهلا به ، لكان كالساري ، وليس له ضياء " [1] .

وقال ابن خلدون رحمه الله تعالى في الفصل الخامس والأربعين من مقدمته في علوم اللسان العربي : " أركانه أربعة ، وهي : اللغة ، النحو ، والبيان ، والأدب ، ومعرفتها ضرورية على أهل الشريعة . إذ مأخذ علم الشريعة كلها من الكتاب والسنة ، وهي بلغة العرب ، ونَقَلَتُها من الصحابة والتابعين عرب ، وشرح مشكلاتها من لغاتهم ، فلا بد من معرفة العلوم المتعلقة بهذا اللسان لمن أراد علم الشريعة " [2] .

وقال السيوطي رحمه الله تعالى في شرح ألفيته : " وقد اتفق العلماء على أن النحو يحتاج إليه في كل فن من فنون العلم ، ولا سيما التفسير والحديث " [3] .

ويقول ابن قتيبة : " وإنما يعرف فضل القرآن من كثر نظره ، واتسع علمه ، وفهم مذاهب العرب ، وافتنانها في الأساليب ، وما خص الله به لغتها دون جميع اللغات " [4] .

وقد أفاض أهل العلم في شروط المفسر وما يجب أن يتحمله من علوم العربية [5] .

ومن الأقوال التي تؤكد هذا الأمر ما يأتي :

(١) قال الإمام الحسن البصري رحمه الله – عند ما سئل عن سبب الضلال – : " إنما أهلكتهم العجمة " [6] .

(٢) يقول الإمام الرازي : " اعلم أن معرفة اللغة والنحو والتصريف فرض كفاية ، لأن معرفة الأحكام الشرعية واجبة بالإجماع ، ومعرفة الأحكام بدون معرفة أدلتها مستحيل ، فلا بد من معرفة أدلتها ، والأدلة راجعة إلى الكتاب والسنة ، وهما واردان بلغة العرب ونحوهم وتصريفهم ،

---

[1] روضة الإعلام بمنزلة العربية من علوم الإسلام ، لابن الأزرق المالكي ، ٣١١/١ – ٣١٢ .

[2] مقدمة ابن خلدون ، ٧٥٣/١ – ٧٦٤ .

[3] المزهر في علوم اللغة وأنواعها ، ص ١٣٦ .

[4] تأويل مشكل القرآن ، لابن قتيبة ، ١٢ .

[5] المدخل لعلم تفسير كتاب الله تعالى ٥٣ ، ومقدمة تفسير ابن النقيب ١٢ ، والقواعد الحسان في تفسير القرآن ١٢ .

[6] المطالع السعيدة في شرح الفريدة ، ٧٤/١ .

وما يتوقّف على الواجب المطلق ، وهو مقدور المكلف ، فهو واجب " [1] .

وأما علم العقيدة فأثر اللغة العربية وعلومها ظاهر ، يقول ابن جني : " اعلم أن هذا الباب – باب فيما يؤمنه علم العربية من الاعتقادات الدينية – من أشرف أبواب هذا الكتاب ، وأن الانتفاع به ليس إلى غاية ، ولا وراءه من نهاية ، وذلك أن أكثر من ضل من أهل الشريعة عن القصد فيها ، وحاد عن الطريقة المثلى إليها ، فإنما استهواه واستخف حلمه ، ضعفه في هذه اللغة الكريمة الشريفة " [2] . ولذلك صدق من قال : إن سبب الضلال العجمة ، لأن الجهل بأساليب اللغة العربية نشأ عنه أن فهمت بعض النصوص على غير وجهها ، وكان ذلك سبباً في أحداث ما لا يعرفه الأولون [3] .

وقال بعض العلماء : " ما جهل الناس ، ولا اختلفوا ، إلا لتركهم لسان العرب ، وميلهم إلى لسان أرسطوطاليس . . . . . ، ولم ينزل القرآن ولا أتت السنة إلا على مصطلح العرب ، ومذاهبهم في المحاورة والتخاطب والاحتجاج ، والاستدلال لا على مصطلح اليونان ، ولكل قوم لغة واصطلاح " [4] .

ومن هذا يتبين أنه لا بد من معرفة مراد الله سبحانه وتعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم وتمييز هما ، عما أراد أهل البدع بمصطلحهم ، يقول الإمام ابن تيمية : " ولا بد في تفسير القرآن والحديث ، من أن يعرف ما يدل على مراد الله ورسوله من الألفاظ ، وكيف يفهم كلامه ؟ فمعرفة العربية التي خوطبنا بها ، مما يعين على أن نفقه مراد الله ورسوله بكلامهم ، وكذلك معرفة دلالة الألفاظ على المعاني ، فإن عامة ضلال أهل البدع كان بهذا السبب ، فإنهم صاروا يحملون كلام الله ورسوله على ما يدعون أنه دال عليه ، ولا يكون الأمر كذلك " [5] .

(للبحث صلة)

---

[1] ينظر الاعتصام ، لإبراهيم بن موسى الشاطبي ٢٩٣/٢ – ٣٠٢ ، وعلم أصول البدع ، لعلي حسن عبد الحميد الحلبي ٤٤ .

[2] الخصائص ، لابن جني ، ٢٤٥/٣ .

[3] الاعتصام ، للشاطبي ، ٢٩٩/٢ ، وينظر فضائل القرآن ، لابن كثير ، ت أبو إسحاق الحويني .

[4] صون المنطق والكلام للسيوطي ١٥ ، ونسبت إلى الإمام الشافعي ، والصواب أنها ليست له . سير أعلام النبلاء ٧٤/١٠ .

[5] الإيمان ١١١ – ١١٢ ، ومنهاج السنة النبوية ٢٠١/١ .

دراسة مقارنة بين كتابين :

" الفتنة الدجالية – ملامحها البارزة وإشاراتها في سورة الكهف " و " تأملات في سورة الكهف "

الباحثة : زرفشان خان بنت عبدالستار خان *

الحمد لله رب العالمين ، الذي نزل الكتاب ، ولم يجعل له عوجاً ، والصلاة والسلام على نبي الرحمة محمد ، صلى الله عليه وسلم الذي ترك أمته على المحجة البيضاء ، ليلها كنهارها ، وعلى آله وصحبه أجمعين ، وبعد :

فإن سورة الكهف من أعظم السور في القرآن الكريم ، وكيف لا ؟ إذ يخبرنا النبي صلى الله عليه وسلم أنها عاصمة من الفتنة الدجالية ، كما احتوت السورة على معان عظيمة ومقاصد لطيفة ، وقد أفردت المؤلفات لتفسير هذه السورة المباركة ، وأعيد النظر إلى تفسيرها في صياغة جديدة ، لكي تكون واقيةً عن الفتن المظلمة التي أحاطت بالمسلمين في عصرنا الحاضر لما تحمله هذه السورة من معان ومقاصد ، ومن الكُتّاب المهتمين بهذا الجانب الإيماني العلامة مناظر أحسن الكيلاني رحمه الله ، والعلامة أبي الحسن علي الندوي رحمه الله تعالى .

وقرأت الكتابين غير مرة ولا مرتين ، وأحببت أن أقوم بدراسة هذين الكتابين دراسة مقارنة ؛ لأنهما من العلماء البارزين في عصرنا الراهن ، ولأنهما ألفا كتابيهما في صياغة فريدة وثوب جديد يجعل القارئ يعيش في الجو القرآني ، ويقدر على تنزيل الآيات القرآنية على واقعه ، ومن ثم يقتطف أزهارها ، ويجد حلولاً للمشاكل والمصايب التي أحاطته ، والجدير بالذكر أنه تمت المذاكرة العلمية بين العلامة مناظر أحسن الكيلاني والعلامة أبي الحسن الندوي رحمها الله في تفسير هذه السورة في الزيارة العلمية التي استضاف فيها العلامة مناظر أحسن

* قسم اللغة العربية وآدابها ، جامعة مولانا آزاد الوطنية الأردية ، حرم لكناؤ ، أترابراديش .

الكيلاني العلامة أبي الحسن الندوي رحمهما الله [1] .

(أ) المقارنة بينهما في صياغة الكتاب :

بدأ كل من العلامة مناظر أحسن الكيلاني والعلامة أبو الحسن علي الندوي رحمهما الله كتابهما بسبب تأليفهما للكتاب ، وكأن السبب يتحد ، ويخرج من مشكاة واحدة ، ومنهج تأليفهما واحد ، وهو صياغة تفسير هذه السورة في ثوب جديد ، منصرفين عن الطرق المعروفة المروجة في تفسير سور القرآن الكريم ، وعرف كل منهما في بداية كتابهما بالدجال وبفتنته وتغلبه الخارق على القوانين الطبيعية ؛ إلا أنه يوجد فرق كبير بين صياغة المعلومات ، فالكيلاني رحمه الله أكثر من ذكر الأحاديث الواردة في الدجال وفتنته ، بينما قام العلامة الندوي رحمه الله بربط الدجل والتمويه والتلبيس بالحضارة المادية التي تسودها اليهودية والمسيحية ؛ وسبب هذا الخلاف الرائع راجع إلى الجانب التركيزي الذي قصد إليه كل من العالمين الجليلين رحمهما الله تعالى .

(ب) موضوع سورة الكهف :

إن آراء الكاتبَين تتحد في بيان موضوع سورة الكهف ، وهو معارضة المدنية الحمارية الدجالية للقوى الإلهية حسب تعبير الكيلاني رحمه الله وتعارض نظرية المادية السافرة عن القِيَم والأخلاق والمبادئ والسلوك الطبيعي للسلطة القاهرة والغالبة الإلهية حسب تعبير الشيخ الندوي رحمه الله .

(ج) المقارنة بينهما في ابتداء الكلام على السورة وفي نهايتها :

لكل كاتب ومؤلف صبغته الخاصة وطريقته المتميزة عن غيره في ابتداء الكلام ومحاولة شد الذهن ، واستجماع أفكار القارئ ، ولا شك أن من أجمل هذه الطرق هي الابتداء بالكلام المجمل الذي يشدِّد الذهن وتتطلع لمعرفة تفاصيله النفس أو ذكر بعض متعلقات الموضوع قبل الخوض فيه ، وقد اتحدت طريقة الإمامين في هذا الأمر ، فكل منهما أتى بأسلوب رائع متشوق يجعل قارئ الكتاب مولعاً بالقصص القرآنية ومتشوقاً لمعرفة ما سطره الإمامان – رحمهما الله رحمةً واسعةً – .

ولكنهما اختلفا في نهاية السورة ، فختم كل من الشيخين

---

[1] الأستاذ أبو الحسن علي الندوي : " الصراع بين الإيمان والمادية " (تأملات في سورة الكهف) ، الناشر : دار القلم ، الكويت ، الطبعة الأولى ١٩٧١م ، ص ١١ .

كتابهما بتفسير قوله تعالى : (فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَآءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلاَ يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدَا) ، ولكن من حيث الاستنتاج يختلف الشَيخان رحمهما اللّه ، فالعلامة الكيلاني رحمه اللّه يرى أن الخطاب في الآية يوجه إلى الطريقة العملية إلى اتخاذ خالق الكون إلهاً واحداً [1] ، بينما أحسن العلامة الندوي رحمه اللّه صنعاً ، فربط الآية الأخيرة من السورة بابتداء السورة ، وقال رحمه اللّه : " والآخرة أخيراً : ويختم اللّه السورة بالحديث عن الآخرة ، وتفخيم شأنها ، والدعوة إلى جعلها أساساً لهذه الحياة ، ولكل عمل ، فجعل النهاية مقرونة بالبداية ، منسجمة مع الروح السارية في السورة كلها " [2] .

(د) المقارنة بينهما في أساليبهما في إيراد القصص من سورة الكهف :

القصص الواردة في سورة الكهف هي أربع ، وهي : قصة أصحاب الكهف ، وقصة أصحاب الجنات ، وقصة موسى والخضر ، وقصة ذي القرنين .

فيميل العلامة الندوي رحمه اللّه إلى التوسع في بيان القصص الواردة في سورة الكهف ، ويحقق فيها ويدققها ، ويقارنها بين التاريخ الإسلامي وغيره من الأفكار والنظريات والتاريخ والأدب المسيحي والقصص الدينية الأخرى ، ويورد الإشكال على الأحداث التاريخية المشهورة ثم يجيب عنها ، فقد ذكر الحدث التاريخي لقصة أصحاب الكهف وما يرويه الأدب المسيحي وما يذكره المفسرون المسلمون تجاه هذه القصة في خمس عشرة صفحة ، وناقش فيها نظرية الأدب المسيحي والمفسرين المسلمين ، فقال رحمه اللّه : " أما عدد الأعوام التي قضوها في المنام فهو يتراوح بين ثلاث مائة سنة باعتبار التقويم الشمسي ، وثلاث مائة وتسع سنة باعتبار التقويم القمري ، ويستشكل على ما جاء في دائرة المعارف من أن اختفاء أصحاب الكهف كان في عهد الإمبراطور دقيانوس ، وأن ظهور أمرهم كان في عهد ثيودوسيس الثاني ، وأن الفترة بين عهدهما لا تزيد على مائتي سنة على الأكثر " [3] ، ثم يقوم الشيخ الندوي رحمه اللّه بالرد على المؤرخ المسيحي " جبون " قائلاً : " إن مصدر هذا

---

[1] الفتنة الدجالية ، ص ٣٤٧ .
[2] الصراع بين الإيمان والمادية ، ص ١٢٢ .
[3] الصراع بين الإيمان والمادية ، ص ٣١ .

الإشكال والتناقض المفروض بين العدد الذي يقرره القرآن ، وبين العدد الذي يقرره " جبون " ، وهو ما اشتهر من أن حادثة اختفاء الفتية في الكهف قد وقعت في عهد دقيانوس الذي حكم بين سبتمبر ٢٤٩م ويونيو ٢٥١م ، ولكن الذي يشكك في تعيين هذا الإمبراطور ليكون مسؤولاً عن هذه الحادثة ، وبطل القصة ، هو أن مدة حكمه كانت قصيرة جداً ، لا تبلغ سنتين ، مع أنه قضى أكثر هذه المدة في الحروب مع القوط "[1] .

وبالعكس تماماً يرى العلامة الكيلاني رحمه الله بأن القصص القرآنية لا تحتاج كثيراً إلى دراسة تاريخية ، فيقول رحمه الله : " إن دراسة هذه القصص التي تحتوي عليها سورة الكهف دراسة تاريخية ؛ من حيث إنها متى وأين وقعت ؟ وما عسى أن توفر لنا الآثار والكتب التاريخية في هذا الصدد من المعلومات أو ما قد وفته منها قضية مستقلة بذاتها ؛ غير أن الهدف المنشود من إنزال القرآن الكريم يجعلنا في غنى عن الخوض في مثل هذا البحث والتحقيق من هذه الناحية الخاصة "[2] .

(ه) المقارنة بينهما في طريقة عرض المعلومات التفسيرية :

يختلف منهج العلامة الكيلاني رحمه الله عن منهج العلامة الندوي رحمه الله في عرض المعلومات التفسيرية للآيات القرآنية ، مع أن كتابهما أتى على طريقة غير مألوفة عند المفسرين .

فالعلامة الكيلاني رحمه الله يتطرق غالباً إلى آية آية مراعياً لترتيب الآيات في المصحف ، إلا أنه يذكر المقصد الأهم عنده ، ألا وهو مقارنة منهج التشريعات الإسلامية مع قوانين المدنية الدجالية المبنية على الإلحاد والحرص على النفع المحض مهما كانت وسائله وتأثيره السلبي على المصلحة العامة ، وقد يذكر بعض المعاني الملائمة لموضوعه ، ثم ينتقل إلى آية أخرى أو جزية أخرى ، وهذا لا يخفى على الناظر في كتابه .

وأما العلامة الندوي رحمه الله فهو يذكر القصة القرآنية – قصة أصحاب الكهف مثلاً – ، ويتبحر في المعارف والثقافات المختلفة ، ويذكر الحقائق التاريخية التي توافق القرآن الكريم ، ويفند التواريخ المزيفة والأدب المزور ، ثم يحاول ربط القصة بالواقع الذي عاشه الرسول صلى الله عليه وسلم والمسلمون عند نزول القرآن الكريم بالقصة ، وفي نهاية المطاف يذهب بالقارئ إلى الجو القرآني ويقوم بتنزيل أهداف تلك

[1] الصراع بين الإيمان والمادية ، ص ٣٤ – ٣٥ .
[2] الفتنة الدجالية ، ص ٢٧ .

القصة على الواقع المعاصر الذي يعيشه القارئ ، ولنأخذ مثالاً لما توصلت إليه ، يقول العلامة الندوي رحمه الله في معرض بيان قصة أصحاب الكهف : " وقد جاءت هذه القصة في أوانها ومكانها ، فقد كان المسلمون في مكة يواجهون نفس الأوضاع التي واجهها الفتية في أوج الاضطهاد والاستبداد في عهد القياصرة ، وكانوا يعيشون في فترة تشبه الفترة التي عاش فيها الفتية المؤمنون قبل أن يغادروا البلد ، ويلجأوا إلى الكهف " [1] ، " وكثيراً ما تتعرض جماعات تقوم بالدعوة وتستقيم على العقيدة لاضطهاد فظيع وتعذيب وتنكيل ونفي وتشريد ، قد يكون ذلك في ظل الحكومات الكافرة ، وقد يكون ذلك في ظل حكومة تسمى بالإسلام . . . ، ويبدأ الصراع بين القلة المؤمنة الضعيفة والكثرة المنافقة القوية ، وهنالك يجد هؤلاء الفتية روحاً ونوراً في قصة أصحاب الكهف " [2] ، " وهكذا تنتهي هذه القصة الخالدة الأولى من قصص سورة الكهف الأربع ، قصة الصراع بين الإيمان والمادية ، أو قصة الصراع بين الاعتماد على الأسباب ، وبين الاعتماد على خالق الأسباب ، تنتهي بانتصار الإيمان على المادية ، وصدق الاعتماد على خالق الأسباب " [3] .

وأرى أن أسلوب العلامة الندوي أكثر تأثيراً على القارئ ؛ حيث يجعل القارئ يتعايش مع القرآن الكريم ، ولأن القصد من القصص القرآنية هو تطبيقاتها على الحياة والأزمات والتحديات للوصل إلى طريق منير بنور الكلام الرباني .

والنقطة الثانية التي ينبغي الالتفات إليها هي : أن العلامة الكيلاني رحمه الله يركز تركيزاً قوياً على مفردات الآيات ويستخلص من تلك المفردات النتائج والثمار الطيبة التي يريد الوصول إليها ، مثل : بحثه رحمه الله في التفريق بين كلمة " الولد " و " الابن " ، وبحثه عند تفسير كلمة " قيماً " ، وكلمة " أقرب رحماً " ، وهذا كثير عند العلامة رحمه الله .

بينما العلامة الندوي رحمه الله لا يتطرق إلى شرح مفردات الآيات إلا نادراً ؛ بل هو يقتطف الثمار المرجوة من مجموع القصص .

---

[1] الصراع بين الإيمان والمادية ، ص ٤٣ .
[2] الصراع بين الإيمان والمادية ، ص ٤٨ .
[3] الصراع بين الإيمان والمادية ، ص ٦٣

(و) المقارنة بينهما في الجانب التركيزي عند الكاتبين على موضوع الكتاب :

المقصد الأساسي لكل كاتب ومؤلف هو إيصال المعلومة إلى القارئ بطريقة يسهل على القارئ تلقي المعلومة كما أراد المؤلف ، وفي هذا الصدد قد يخرج الكاتب عن صلب الموضوع ، ويذهب بالقارئ إلى مجالات المعرفة وحقول المعلومات التي ليست لها صلة بالموضوع الأساسي ، وهذا ما حدث مع العلامة الكيلاني رحمه الله في كتابه عندما أراد رحمه الله تفسير قوله تعالى : (ديناً قيماً) ، فيفنِّد الأفكار المنحرفة ، واسترسل فيه ، ثم قال رحمه الله : " ولعلي خرجت عن موضوعي فدعني أعود إلى ما كنت أقول " [1] ، وبعد الرد على المجوسية في معتقدها بالإلهين قال رحمه الله : " والحديث عنه يطول ، فدعنا نعد إلى ما كنا بصدده " [2] .

وبالعكس تماماً نرى العلامة الندوي رحمه الله لا يذهب بالقارئ إلى بعيد حيث يشتت أفكاره ، بل يبقيه في الجو القرآني الإيماني .

(ز) المقارنة بينهما في ذكر الأحكام المستفادة من الآيات والقصص :

أورد القرآن الكريم القصص للاعتبار والاتعاظ لأصحاب القلوب السليمة وذوي الألباب ، والمفسرون والعلماء رحمهم الله كلما أوردوا القصص القرآنية أردفوها وختموها بالأحكام المستفادة من القصص ، ونهج على هذا المنوال المعهود العلامة الكيلاني والعلامة الندوي رحمهما الله أيضاً في كتابهما ، إلا يوجد هناك اختلاف في طريقة عرض الأحكام .

فالعلامة الكيلاني رحمه الله يضع عنواناً مستقلاً لبيان الأحكام المستفادة من القصص ، وذلك عند الانتهاء من كلامه على القصة القرآنية ، كقوله رحمه الله : " أحكام تضمها سورة الكهف : وقصة أصحاب كهف تنتهي بأحكام ، هلم بنا نتأمل في معناها " [3] ، وقوله رحمه الله بعد سرد قصة ذي القرنين : " نتائج القصة أي واجبات الحكومة " [4] .

وأما العلامة الندوي رحمه الله فلا يعقد مبحثاً خاصاً لذكر الأحكام المستفادة من القصص ، وإنما يسترسلها ضمن كلامه على

---

[1] الفتنة الدجالية ، ص ٣٨ .
[2] الفتنة الدجالية ، ص ٦٠ .
[3] الفتنة الدجالية ، ص ١٩٠ .
[4] الفتنة الدجالية ، ص ٢٧١ .

الآيات والقصص والرد على المادية ، كقوله رحمه الله : " حياة من غير عقيدة ، أو عقيدة من غير حياة ؟ " [1] ، وقوله : " طرداء الأمس أبطال اليوم " [2] ، وقوله : " انتصار الإيمان على المادية " [3] ، هذه العناوين الفرعية التي عقدها العلامة الندوي رحمه الله وهي مستفادة من القصص كما لا يخفى

(ح) المقارنة بينهما في تفسير قوله تعالى : (وَيَقُولُ يا لَيْتَنِى لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّى أَحَداً) :

الآية المذكورة وردت في ضمن قصة أصحاب الجنتين ، وهي القصة الثانية من سورة الكهف كما يتفق عليها الشيخان رحمهما الله ، واتفقا أيضاً على أن الرجل الغافل لم يكن كافراً ؛ لأنه لم يرد نص قرآني يدل على كفره ، وكذلك لم يكن شركه من الشركيات المعهودة كعبادة الأصنام وغيرها [4] إلا أنهما يختلفان في المراد بـ " الشرك " الوارد في الآية ، فيرى العلامة الكيلاني رحمه الله أنه وصف الإنسان نفسه بأنه صانع أقداره وبنّاؤها ، ومن أولئك الملاحدة والدهرية [5] ، بينما يرى العلامة الندوي رحمه الله أن المراد بالشرك في الآية هو الاعتماد الكلي على الأسباب وتخلي التوكل على مسبّب الأسباب [6] ، وأرى أنه من قبيل اختلاف التنوع ؛ لأن كلاً منهما يعتقد أن الشرك في ثوبه الجديد هو المادية والمدنية الحمارية .

(ط) المقارنة بينهما في الجانب التربوي والوعظ والإرشاد :

مع أن الكتابين كتابا تفسير إلا أن الشيخين الكريمين لم يهملا الجانب التربوي والوعظي ، بل تناولا شيئاً من جوانبه .

فالعلامة الكيلاني رحمه الله قليل العناية بهذا الجانب ، وأما العلامة الندوي رحمه الله فقد اهتم بهذا الجانب أكثر مما فعله العلامة الكيلاني رحمه الله ، فتراه ينتهز أقرب الفرص ليسترسل في الوعظ

---

[1] الصراع بين الإيمان والمادية ، ص ٥٣ .
[2] الصراع بين الإيمان والمادية ، ص ٦٠ .
[3] الصراع بين الإيمان والمادية ، ص ٦٣ .
[4] الفتنة الدجالية ، ص ٢١٨ ، والصراع بين الإيمان والمادية ، ص ٧٧ – ٧٨ .
[5] الفتنة الدجالية ، ص ٢١٩ .
[6] الصراع بين الإيمان والمادية ، ص ٢١٩ .

والرقائق ، ومن الأمثلة على ذلك إيراده رحمه الله أحاديث الوعظ والزهد وخُطَب الخلفاء المسلمين في الرقائق تحت عنوان : " بين الأديان السماوية والفلسفات المادية " [1] .

(ي) المقارنة بينهما في الرد على الأفكار المخالفة للدين الحنيف :

يشد الشيخان رحمهما الله مئزرهما للرد على اليهودية والنصرانية واللادينية والمادية ، ويحسنان صنعاً ، ويدحضان الباطل بكل ما أوتيا من قوة وبراهين وحجج ماتعة .

والعلامة الكيلاني رحمه الله لم يكتف بالرد على أصحاب الأديان السماوية المحرفة ، وإنما قام بالرد على الجماعة المنتسبة إلى الإسلام أيضاً إذا عدلت عن الصراط المستقيم ، ومن ذلك قوله رحمه الله : " وأما فئة المتصوفة التي تعدت حدود الشرع إلى الإباحية وحاولت استغلال قصة موسى والخضر عليهما السلام . . . والاستدلال منه على أنه قد يمكّن من لم يوح إليه شيئ من النسخ والتبديل في الشرع ، فما أشد جرأةً وأشنعها وأقبحها ؟! " [2] .

(ك) تعقيب العلامة الكيلاني رحمه الله على بعض ما شاع على ألسنة الناس :

وقد ذكر العلامة الكيلاني رحمه الله هذا الجانب ، ولم يتعرض له العلامة الندوي رحمه الله ، وهي التعقيب على ما شاع على ألسنة الناس ولم يصح ، ومن ذلك قوله رحمه الله في قصة يأجوج ومأجوج : " وليت شعري كيف شاع في الناس أن يأجوج ومأجوج يحاولون فتق هذا الجدار منذ تم رتقه ، وسينجحون في فتقه وكسره في نهاية المطاف ، رغم أنه سبق هذه الآية في القرآن نفسه (فَمَا ٱسْطَاعُوٓاْ أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا ٱسْتَطَاعُواْ لَهُ نَقْبـاً) [3] ، وقوله رحمه الله أيضاً بعد سرد الآثار الدالة على أوصاف يأجوج ومأجوج : " والغريب في الأمر أن أوساط العامة والخاصة قد تلقت أمثال هذه الرواية بالقبول وراجت فيها إلا أننا لا نجد في أمثال هذه الروايات " [4] .

---

[1] الصراع بين الإيمان والمادية ، ص ٨٤ – ٨٨ .
[2] الفتنة الدجالية ، ص ٢٦٦ .
[3] الفتنة الدجالية ، ص ٢٨٠ .
[4] الفتنة الدجالية ، ص ٣١٨ .

الشيخ محمّد الرابع الحسني الندوي
أديباً ألمعيّاً ، وكاتباً بارعاً

الدكتور محمّد شرف عالم *

الحمد للّه ربّ العالمين ، والصلاة والسلام على سيّدنا محمّد وآله وأصحابه أجمعين ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين . وبعد !

فإنّ الشيخ محمّد الرابع الحسني يُعتبر أحد العلماء البارزين في الهند وخارجها ، قد أعطاه اللّه مواهب متنوعة نحو التعليم والتربية ، والدعوة والإصلاح ، والتزكية ، والإدارة والقيادة ، ويُعرف بفكره السالم ، ورأيه السديد ، وموقفه الصحيح ، وكان كئيباً بما يشاهده من أحوال أبناء الإسلام السيئة ، وتباعدهم عن الدين ، واقتحامهم في الشهوات ، وتوغّلهم في اللذّات ، وكان متألّماً بما يراه من أوضاع العالم الإسلاميّ ولا سيّما في العالم العربيّ من تصرّفات لم تتطابق مع الدين والشريعة ، وكان أستاذاً جليلاً ، وأديباً ألمعيّاً ، وإداريّاً خبيراً ، يُعرف بحلمه ، وتواضعه ، وبصيرته ، وقلبه الرقيق ، وطبعه اللين ، وحديثه الحلو ، وعزيمته القويّة .

وُلد الشيخ محمّد الرابع الحسني السادس من شهر جمادى الأولى ١٣٤٨هـ المصادف في السابع عشر من شهر أكتوبر ١٩٢٩م في قرية " تكية كلان " ، في مديرية رائي بريلي في الولاية الشماليّة ، أترابراديش ، الهند في أسرة كان شعارها منذ زمن طويل " الجمع بين العقيدة السلفيّة النقيّة ، وبين الربانيّة الصحيحة " ، وهي قرية تاريخيّة ، أنجبت صالحاً من أهل العلم ، وخالصاً من أهل الدعوة ، ونقيّاً من أهل المجاهدة .

تربّى الشيخ محمّد الرابع الحسني وترعرع في بيت العلم والصلاح ، والدعوة والإرشاد ، والتعليم والتربية ، والتزكية والإحسان ، وبدأ دراسته

* الأستاذ المساعد في قسم اللّغة العربيّة ، جامعة مولانا آزاد الوطنية الأردية ، حيدرآباد (الهند) .

الابتدائيّة في قريته ، ثمّ ارتحل إلى لكناؤ ، والتحق بدارالعلوم التابعة لندوة العلماء ، وقرأ على خاله الشيخ أبي الحسن علي الحسني الندوي كتب الأدب واللغة والعلوم الشرعيّة ، ثمّ التحق بجامعة ندوة العلماء ، وأخذ العلم من كبار الأساتذة في عصره ، وأتمّ دراسته العالية والعليا في دارالعلوم لندوة العلماء ، بلكناؤ ، الهند عام ١٩٤٨م ، من حيث ارتوى من مناهلها العلميّة والأدبيّة والثقافة الإسلاميّة ، وأخذ الحديث النبويّ من العلامة الشيخ حليم عطاء شيخ الحديث بدارالعلوم لندوة العلماء ، والشيخ حميد الدين ، كما استفاد من مشايخ عصره ، وقضى سنة تعليمية في دارالعلوم بديوبند ، الهند ، واستفاد من رجال العلم والفكر في الحجاز من أواخر ١٩٥٠م إلى أواخر ١٩٥١م . وقد حصلت له الإجازة من المحدّثين الكبار بالهند ، كما نال الإجازة من كبار المحدّثين من أهل العرب ، فقد صرف جهداً جهيداً في الحصول على العلم ، ولازم العلماء الكبار في الحصول على العلوم والفنون بصفة عامّة ، كما لازم خاله الشيخ الإمام أبا الحسن علي الحسني الندوي في الحصول على علوم اللغة العربيّة وآدابها والفكر الإسلامي الممتاز بصفة خاصّة . فارتوى من منهل علمه وفكره ، ولازم صحبته في الحلّ والترحال ، حتى صار في منزلة خليفته بعد ما لحق برفيقه الأعلى في ندوة العلماء ، وانتخب في المجامع العلمية ، والهيئات الدينية ، والمدارس الإسلاميّة ، والمراكز الدينيّة .

وقد نال صيت الشيخ الآفاق ، واستلفت رسالة ندوة العلماء ومنهجها الوسط أنظار العالم إليها ، كأن الدنيا وجدت ضالتها ، فنالت شخصيّة الشيخ قبولاً عاماً لدى أصحاب الفكر الإسلاميّ ، والدعوة الإسلاميّة ، والتربيّة الإسلاميّة ، والتزكية الخالصة ، وتوسّع نطاق عملها ، وانتشرت فروعها في أطراف البلدان المختلفة ، وقد فتحت أقسام جديدة ، وتوسعت فروعها منتشرة في أنحاء الدول ، ولم يتزحزح عن هدفها ، وثبت في وجهها كالصخرة الصمّاء .

وعُين أستاذ الأدب العربي والدعوة الإسلامية في دارالعلوم لندوة العلماء ١٩٤٩م ، ولازم صحبة الإمام أبي الحسن علي الحسني في رحلاته ، فارتحل معه إلى الحجاز في عام ١٩٥٠م ، وغبر أكثر من سنة قضاها في الدعوة وحصل على العلم من منابع العلم والمعرفة فيه ، واستفاد من العلامة ابن باز ، والعلامة عبد الله بن حميد ، والشيخ ناصر الدين الألباني ،

والعلامة محمد تقي الدين الهلالي المراكشي ، والشيخ أمين الشنقيطي ، والشيخ السيد علوي المالكي ، والشيخ محمّد علي الحركان ، والشيخ عبد الله الخياط ، واجتمع بالشيخ صالح القزاز ، والأستاذ علي حسين فدعق ، والشيخ أحمد محمّد جمال وغيرهم ، ثمّ رجع إلى لكناؤ ، فشغل منصب أستاذ مساعد للأدب العربي في دارالعلوم لندوة العلماء في عام ١٩٥١م ، وانتخب رئيس قسم الأدب العربي في جامعة ندوة العلماء عام ١٩٥٥م ، واختير عام ١٩٧٠م عميد كلية اللغة العربية في جامعة ندوة العلماء ، وعيّن عام ١٩٩٣م مدير دارالعلوم لندوة العلماء بعد وفاة مديرها الشيخ محب الله الندوي ، واختير ١٩٩٨م نائب رئيس دارالعلوم لندوة العلماء ثم عيّن رئيساً عامّاً لندوة العلماء عام ٢٠٠٠م بعد ما قضى سماحة الإمام سيّد أبي الحسن علي الحسني الندوي نحبه ، كما انتخب عام ٢٠٠٣م رئيس هيئة قانون الأحوال الشخصية الإسلاميّة لعموم الهند بعد وفاة رئيسها القاضي مجاهد الإسلام القاسمي في عام ٢٠٠٢م ، ونائب رئيس رابطة الأدب الإسلامي العالمية ، ورئيسها لشبه القارّة الهنديّة والدول الشرقيّة في عام ٢٠٢٢م .

ويعتبر الشيخ محمّد الرابع الحسني من كبار المؤلّفين في شبه القارة الهنديّة في الفكر الإسلاميّ ، وعلم الاجتماع التربويّ ، والتاريخ الإسلاميّ ، والأدب الإسلاميّ العربيّ .

بعض آثاره الأدبيّة والعلميّة :

جزيرة العرب : هذا الكتاب من سلاسل المقرّرات الدراسيّة ، واستلفت مسؤلو ندوة العلماء الشيخ محمد الرابع الحسني إليه ، وقد أحسّوا بوضع كتاب حول جزيرة العرب تاريخها وجغرافيّتها ، ولازموه بتأليف كتاب حولها ، ولها أهميّة تاريخيّة ، وخطورة دينيّة ، وعناية سياسيّة ، وموقع خاصّ بوقوع وسط العالم ، وبكون أوّل بيت وضع للناس فيها ، فمن يتعلّم الأدب العربي شعراً ونثراً ، ويشعر بحاجة إلى معرفة تلك البلدان المتنوعة ، ويصعب عليه الاستفادة من فهم النصوص حول السيرة النبويّة ، وتاريخ العهد الأول من الإسلام ، وهو يحتوي على ذكر الأماكن ، وطبائع القبائل ، ويحصل على بغيته في هذا الكتاب الثمين .

واتّجهت همّة المؤلّف إلى جمع المعلومات من مصادر قديمة وحديثة من لغات مختلفة ، وانقضت حياة الشيخ في هذا العمل الشاقّ سنواتٍ ،

وسعى فيه سعياً مشكوراً ، وطبع لأوّل مرّة بالأردية في سنة ١٩٦٢م ، ثم تتابع الطبع تلو الطبع ، وقرر تدريسه في المقرر الدراسيّ بدارالعلوم التابعة لندوة العلماء ، وفي المدارس التابعة لها في أنحاء الهند .

صدر هذا الكتاب طبعاً حديثاً أنيقاً معرّباً في ثوب نظيف باسم (جزيرة العرب تاريخيّاً ، ثقافياً وجغرافياً) واهتمّ به الأستاذ محمد فرمان الندوي ونقله إلى العربيّة وقسّم الكتاب إلى خمسة عشر باباً مع خرائط ملوّنة ، وتناول توسعة الحرمين الشريفين عبر التاريخ على الهامش ، وذكر أطراف الآيات ، والأحاديث ، والأبيات ، وثبت المراجع والمصادر .

القرآن الكريم سفينة نجاة للإنسانيّة : كان الشيخ محمد الرابع الحسني في انهماك الكتاب الإلهي ، وتناول فكراً صحيحاً ، واعتبر القرآن منهجاً ودستوراً للحياة البشريّة ، وتضمّن له السعادة الكاملة ، ووفّر له جميع ما يحتاج إليه في شعب الحياة المختلفة من الأمن والسلام ، ولم يتحقّق السلام العالميّ سوى تطبيق النظام القرآني في العالم البشريّ .

ويبرز هذا الكتاب " القرآن الكريم سفينة نجاة للإنسانيّة " من بين الكتب المؤلّفة حول القرآن وعلومه ، ومقتضياته ، وكُتب باللغة السهلة الواضحة ، وبالأسلوب الأدبيّ السلسال ، ويتحاشى عن الغموض والإبهام ، والتكلّف ، وتمتاز مكانته المرموقة بين الصحائف السماويّة الأخرى ، ويحتوي على الهداية الإنسانيّة ، والموعظة الحسنة ، فمن يجعله هادياً يتيسّر له معرفة رضا الله بأحسن طريق ، ويكون مصدراً للهداية الإنسانيّة ، وتتفجّر منه ينابيع الحكمة ، ويتدفّق منه اليقين الكامل ، ويرتوي أفراد الإنسان من هذا المنهل العذب الثرثار ، ولكن – مع الأسف الشديد – اليوم تجاهلت الإنسانية عن تعاليمه ، وحصل لها الحرمان على الإيمان بالحياة الأخرويّة ، فينبغي لها أن تتمسّك بمبادئ القرآن الأساسية ، وهو هدىً للناس ، وشفاء لما في الصدور ، وتعتصم الإنسانيّة اليوم في ضرورة قصوى بالتمسّك به ، وبموضوعاته الأخلاقيّة ، وتوجد فيه تعاليم العدل والقسط والشهادة بالحقّ ، ويدعو إلى الأمن والسّلام ، والبعد من الفتن ، وقد نقله إلى العربية أيضاً الأستاذ محمد فرمان الندوي ، وصدرت طبعته الأولى من المجمع الإسلامي العلمي بلكناؤ ، كما صدرت طبعته الثانية من دار القلم بدمشق .

سراجاً منيراً سيرة خاتم النبيين : ألّف الشيخ محمد الرابع الحسني هذا الكتاب في آخر عمره باللغة الأرديّة بأسلوب سهل وعذب ومقنع ، وفي قالب علميّ وأدبيّ ، نقله إلى العربيّة الأستاذ محمد وثيق الندويّ ، ثم نُقل إلى الهنديّة والإنجليزيّة ، ونال قبولاً واسعاً في الأوساط العلميّة والدينيّة في شبه القارة الهنديّة ، ووضّح فيه جوانب إنسانيّةً وخلقيّةً من حياة النبيّ صلّى اللّه عليه وسلّم ، وعرضه النبيّ الأميّ كمنقذ الإنسانيّة التائهة في متاهات الضلالة ، ويحتوي على عشرة أبواب ، ويجد القارئ في بدايته مقدّمةً علميّةً عن السيرة النبويّة ومراحل تدوينها ، ومؤلّفات مرموقةً فيها ، وعبّر عن العمالقة الذين قدّموا سيرة نبيّهم إلى أمته على كلّ شيئ من حياتهم من بداية القرن الأوّل إلى نهاية القرن المنصرم . وطُبع له بالأردية أكثر من ثماني طبعات .

الأدب العربيّ بين عرض ونقد : قدّم الشيخ محمد الرابع الحسني في هذا الكتاب تطوّر الأدب العربيّ عبر العصور المختلفة ، وبدأ من العصر الجاهليّ ، وانتهى إلى العصر الحديث ، وعرض فيه الأعمال الخطيرة من الأدب والشعر ، تاريخ الأدب العربيّ ، وذكر أساليبه الأدبيّة ، وقيمته الثقافيّة .

وبرز الشيخ محمد الرابع الحسني في هذا الكتاب بأسلوبه الجذّاب والممتاز في تحليل الأعمال الأدبيّة المختلفة ، وأثّرها على النصوص والقرّاء ، واعتنى بالشخصيّات ، واهتمّ بالرموز ، وقدر على توجيه النقد للأعمال الأدبيّة ، وأكّد على أهمّيّة فهم النصوص باعتبار السياق التاريخي والثقافي .

وأضاف الشيخ محمد الرابع الحسني إلى هذا الكتاب مواد مهمةً في مجال النقد الأدبيّ ، وأثر الأدب في المجتمع ، والأدباء ودورهم ، وعمل الوعيّ الجماعيّ .

تاريخ الأدب العربيّ (العصر الإسلامي) : ناقش الشيخ محمد الرابع الحسني في هذا الكتاب نظرةً عامّةً ، وازدهر الأدب العربيّ خلال العصر الإسلاميّ ، وتناول الأعمال الأدبيّة الممتازة في فترة العصر الإسلاميّ .

الأدب الإسلاميّ وصلته بالحياة : اعتنى الشيخ محمد الرابع الحسني بالعلاقات القويّة بين الأدب الإسلاميّ والحياة اليوميّة ، وارتبط الأدب الإسلاميّ بمناحي الحياة المختلفة ، واستعرض تجارب المجتمع

وصعوباته ، وكوارثه اليوميّة ، وذكر دور الأدب في تصوير الحقائق ، وعبّر عن القضايا الاجتماعيّة ، والمسائل الثقافيّة والقيم الأخلاقيّة .

الأدب الإسلاميّ فكرته ومنهاجه : قدّم الشيخ محمد الرابع الحسني في هذا الكتاب فلسفة الأدب الإسلاميّ ، ومنهجه ، وصرّح بتمحور الأدب الإسلاميّ حول قضايا الأخلاق ، وتحدّث بمفهوم الشعر الإسلاميّ ، وتطرّق إلى التعبير عن المشاعر والأفكار ، وتبادل علاقات الأدب الإسلاميّ المهمّة بالحياة اليوميّة ، ووفّر فهم فلسفة الأدب الإسلاميّ العميق ومنهجه ، وساهم في تنمية الوعي الثقافيّ والأدبيّ ، وعزّز القيم الأخلاقيّة .

منثورات من أدب العرب : ألّف الشيخ محمد الرابع الحسني هذا الكتاب ، فنال القبول العام بين الأوساط العلميّة ، وحقّق صيتاً كبيراً ، وأصبح جزءاً من المقرّرات الدراسيّة في المدارس والجامعات في مشارق البلاد ومغاربها ، وقدّم فيها نماذج أدبيّة من عصور مختلفة ، وبدأ من العصور الإسلاميّة الأولى ، وانتهى إلى الأدب الحديث ، وقدّم أمثلة من الأعمال الأدبيّة الكلاسيكيّة والمعاصرة من الشعر والنثر والخطابة .

وأصبح وسيلةً لمعرفة تاريخ الأدب العربيّ عبر العصور ، وساهم في نقل الثقافة الأدبيّة إلى الطلّاب والقرّاء ، وتقوّى فهم الأدب العربيّ العميق ، وقيمه الفكريّة والجماليّة .

وصار هذا الكتاب مرجعاً مهمّاً في دراسة الأدب العربيّ ،ولاقى إقبالاً ورواجاً بين الأوساط العلميّة في المدارس والجامعات كمرجع للاستفادة

خاتمة :

يُعتبر الشيخ محمّد الرابع الحسني رجلاً فذّاً عملاقاً ، ورجلاً يستنفد جميع إمكانياته في حلّ مشاكل متنوّعة تطرق إلى أبناء الإسلام كسيل عارم بدون تخلّف ، ويحمل قنديل الفكرة السليمة الصافية ، ويسبغ عليهم نعمة الأمن والسلامة ، ويرشدهم إلى سبيل الرشاد ، ويحميهم عن تيّارات الفتن ، ويصبح كالظليم الذي يذبّ عن فراخه عن الطوارق والمتاعب التي تتوسّل إليهم .

وكانت في شخصيّة الشيخ محمّد الرابع الحسني مزايا متنوّعة ، فكان في جانبٍ عالماً ربّانيّاً ، وأديباً ألمعيّاً ، وأستاذاً عطوفاً ، وصحافيّاً قديراً ، وإداريّاً خبيراً ، وفي جانبٍ آخر ممتازاً بأخلاقه الفاضلة ، وأعماله الحسنة ، ومتميّزاً بإنجازاته المتتابعة ، ومجهوداته المتلاحقة ، وساكتاً

مثل البحر ، ومتواضعاً مثل الأرض ، وقادراً مثل الجبل ، ومرتفع عزمه الأكيد مثل السماء ، ولم تجد في وقته أحداً بين أقرانه يماثله في أوصافه العالية ، ودرجاته الشامخة ، وصفاته الحميدة .

وكانت حياته حافلةً بالدعوة إلى الله ، والإصلاح للناس ، والبناء للإنسانيّة ، وكان مهتمّاً في مقالاته القيّمة وبحوثه السامية ، وكتبه مملوءة بالحكمة والموعظة الحسنة ، وتحلّ كلّها قضايا المجتمع الإسلاميّ والمجتمع الإنسانيّ التي يكابدها أفراد البشر ويواجهها الإنسانيّة ، وظلّ متوجّهاً إلى حلّ المشاكل الاجتماعيّة ، فأصبح الناس يعيشون إسلاماً أينما حلّوا سواء في مراكز التعليم كالجامعات ، والكليّات ، المدارس ، أو في كلّ الأعمال ، أو في البيوت ، أو في الشوارع ، أو في كلّ مرافق الحياة .

وتطرّق الشيخ محمّد الرابع الحسني في مقالاته إلى مواضيع مختلفة لمعالجة القضايا الاجتماعية ، وصوّر فيها تصويراً صادقاً عمّا كان يواجه المجتمع العالميّ عامّة ، والمجتمع الهندي خاصّة من المأساة والتخلّف علماً وسياسيّاً وأدبيّاً وثقافيّاً ، وفتح نافذة جديدة لمعالجة القضايا الاجتماعيّة ، وكانت صحبته فيّاضة كما يتبلور أثر الثقافة والإصلاح في كلّ كتاباته ، للدعوة والتوجيه الإسلاميّ طرقاً مختلفة من التأليف والوعظ والتدريس والصحافة ، وجال في الدول العربيّة والإسلاميّة والأوروبيّة ، وشاهد أحوالها بنظر عميق ، فكانت مقالاته حول الموضوع حديثاً لرجال الفكر والدعوة في توجيه الشعب من النواحي كلّها ، وعصر فيها من تجاربه الواسعة ، ومشاهداته المرموقة ، وكانت مجالسه علميّة وإصلاحيّة ، وتُعقد بعد صلاة العشاء في دار ضيافة ندوة العلماء ، ويشارك فيها أساتذة الدار وطلّابها وعامّة الناس من أهل الثقافة والعلم في مدينة لكناؤ ، ويجتذب إليها قلوبهم ، وتمتّعوا باستثمارها .

وقد حظيت ندوة العلماء في حياته الطيّبة بشهرة ممتازة ، وتوصّل صوتها إلى القارات بأسرها ، وتوسّعت دوائرها ، وتكاثر عدد خرّيجها في وقته بكثرة كاثرة ، وكان عهده تحت إشرافه عهداً مشرقاً ، ووقف كلّ حياته الجليلة لندوة العلماء ولأعمالها اللامعة ، وكان مثالاً للسلف الصالح ، وكانت حياته أنموذجاً سامياً حتى لحق برفيقه الأعلى يوم الخميس ٢١ من رمضان المبارك ١٤٤٤هـ المصادف ٢١ من أبريل ٢٠٢٣م ، وكانت وفاته خسارة فادحة للأدب العربي بشكل خاصّ ، وللثقافة الإسلاميّة بشكل عامّ ، فإنّا لله وإنّا إليه راجعون .

تعريف بكتاب

الجُهُودُ الفِقْهِيةُ في فرنْسَا

(المطبوع في مدينةِ تِطْوَان المَغْربيةِ)

بقلم : الدكتور صالح العَوْد *

الوفاء [1] خُلُق عظيم في دين الإسلام الخالد ، لكنّه أصبح في أيّامنا هذه عُمْلةً نادرةً . وقد صدق الشاعر الحكيم فيما نسجه فكره فقال :

إذا امتلأتْ يدُ اللّئيم تعالى وقال ها أنا أنا
أمّا أصيل الأصل كالغُصْنِ كُلّما حَمَل ثماراً تراخى وانْحنى

أقول ، ومن اللّه وحده تعالى الرّضا والقَبول :

ما معْنى أن يتولّى الكتابة عنّي ، طالب من خارج البلاد التي أَقْطنها منذ ستة وأربعين عاماً ، وهي التي اختارها لي ربّي عزّ وجلّ منذ الأزل ، مستقرّاً ومُقاماً.. إنّ ذلك في ظنّي – واللّه تعالى أعلم – إلا " الوفاء " للعلم والعُلماء ، وفي رِكابهم : هذا الفقير ، إلى مولاه العليّ القدير .

لقد أعدّ الأستاذ خليل بو علي – بارك اللّه تعالى فيه – (أُطْروحة الماجستير) بجامعة محمّد الأوّل من مدينة وِجْدة في المغرب الأقصى ؛ وبعد أن نوقِشتْ وحصل بها على درجة حسنة ، قدّمها إلى مكتبة سلمى الثقافيّة بمدينة تِطْوان المغربية ، لتَصْدُر ضِمْن سلسلة منشوراتها (بالرقم ١٨٩) ؛ وكان عنوانها كالتالي :

الجهود الفقهيّة في فرنسا
للشيخ صالح العَوْد المهاجر التونسيّ
مدّة ثمانية وثلاثين عاماً (من ١٩٧٦ إلى ٢٠١٤م)

---

* مُجاز في الشريعة / جامعة الأزهر .

[1] (الوفاء) يعني كما جاء في كتاب (النهاية في غريب الحديث والأثر للإمام ابن الأثير ، ج ٥ ، ص ٢١١ ، وَفى بالشيْئ وأوْفى ووَفّى بمعنى . أيْ : بالوعد والعهد .

وهذا الكتاب يقع في (٢٥٧ ص) ، صدر سنة ١٤٠٣هـ – ٢٠٢٢م ، وقد قُمْتُ أنا شخصيّاً بعد أنْ عرَضه عليَّ – قبل النشر – بقراءته ومراجعته ، فاستوجب منّي : تعليقاتٍ عليه . . . وتصحيح بعض المعلومات التي تَخُصُّني ، ثمّ قدّمتُ له " تقديماً " توضيحيّاً ، إليك بيانه / (ص ٣) : " أمّا بعد ، فإنّه لم يكن لي من قبل صلة بالمؤلف النبيه ، وهذا الفاضل الوجيه : الأستاذ خليل بوعلي حفظه الله تعالى دوماً ، ورعاه جمّاً ؛ إلا ما كان من شيخه المحدّث : المصطفى غانم الحَسنيّ – (أستاذ الحديث بجامعة محمد الأوّل في وجدة) – تعارف ثم تواصل علمي ، منذ ما يزيد على (خمسة عشر) عاماً ، هو في مدينة وجدة (المغربية) ، وأنا في مدينة باريس الفرنسية ؛ وكانت الوسيلة الوحيدة التي تقرّبنا ثمّ تجمعنا عن بُعد هو (الهاتف) بصورة دائمة ، وأحياناً (المراسلة) ، وهي جدّ قليلة ؛ وهكذا ، وعلى مرّ هذا الزمن الطويل توثّقتْ بيننا عُرى الأخوّة في الله ، والصداقة العلميّة المتينة : فمِن خلالها كنّا نتذاكر ، ونتباحث ، ونتطارح الأفكار ، حتى جاء يوم مشرق ، فتقدّم فيه الشيخ الجليل : المصطفى غانِم إليَّ بطلب ثمين وعزيز ، وهو تزويد مكتبته العامرة بكل ما صدر لي من مؤلّفات ، فلبّيت طلبه ، وأسْعفته بـ (سبعين) عنواناً ، وبعثتها إليه .

وقد فهمتُ من خلال هذا الطلب الميمون ، أن الشيخ يرغب في الاطلاع على ما خطّتْهُ يَدايَ من موضوعات ، وبحوث ودراسات ، ومسائل ونوازل فقهيّة ، لأنّ الطلبة دائماً حوْله فلعلّهم يسْتهْدون في دراستهم بما سطّرتُه في كُتُبي .

لكنّ الأهمّ من ذلك كلّه ، كما فهمت من بعد ، أنّ الشيخ الفاضل كان يرمي من وراء ذلك ويهدف : إلى تكليف أحد طلبته الخَواصّ ، الملازمين له على الدّوام : إعداد (بحث) في الدراسات العليا ، لنيل شهادة الماجستير من الجامعة المنخرط فيها ، حول (جهودي العلميّة والفقهيّة) في البلاد الغربيّة حيث أقيم .

وفعلاً ، فما كان من هذا الطالب الحَصيف ، إلا أن استجاب

لأمر شيخه ، فعكف أياماً ولياليَ في جَلَد كبير ، وصبر مرير ، على استطلاع جُلّ مُؤلّفاتي تلك ، وقراءتها ، ليُنجز بحثه القيّم هذا ، ثمّ يقدّمه إلى (لَجْنة المناقشة) تحت إشراف أستاذه الدكتور نور الدين قَرَّاط حفظه الله ، لينال به في النهاية درجةً علميّةً مرْموقةً ، يغبطه عليها كل طالب أو طالبة ، يطمح إلى الفوز في خاتمة مسيرته التّعليمية .

ثمّ ما كان من الشيخ المصطفى غانم الحسنيّ إلا أن يفاجئني – بعد النجاح – بإهدائي نسخةً مِنْ تلك الأطروحة .

وبعد أن اطّلعتُ على ما كتب عن كَتَب ، وضعتُ هذا الانْطباعَ على النسخة المُهداة ، وهي عبارة عن كلمات التقدير لمجهوده البارّ ، نحو هذا الفقير إلى مَوْلاهُ العليّ القدير ، شكر الله سعْيه وأثابه على ما قام به في سبيل إبرازي كشخصيّة علميّة . . . فقهيّة . . . اجتهادية . . . حلاًّها بالنقول الكثيرة ، والاستشهادات الوفيرة . . . جزاه الله عنّي خير الجزاء وأثابه .

ثمّ سعيتُ له عند السيد الفاضل يوسف بن عبد الهادي : صاحب (مكتبة سلمى الثقافية) بمدينة تطوان المغربية ، ليتولّى نشره ، فَهو صاحب منشورات واسعة ودائمة [1] ، فاستجاب لي بارك الله فيه ونفع بما يُصدره ، وليس لي من غاية ، سوى الإفادةُ بهذا الكتاب الماتِع في كلّ مكان يصل إلى القرّاء إن شاء الله .

ولله دَرُّ الشاعِر :

قل لِمَنْ لا يَرَى المَعاصرَ شيْئاً ... ويرى للأوائل التقديما
إنّ ذاك القديمَ كان حديثاً ... وسَيَبْقى هذا الحديثُ قديما

---

[1] نشرت لي فيما سبق – شكر الله سعي صاحبها – هذه الكتب :

١. الإمام أبو الحسن علي النوري الصفاقسي/ سنة : (٢٠١٣م) .
٢. مناقب الأعلام وتأمّلات في أعمالهم وآلامهم/ سنة : (٢٠١٤م) .
٣. تحبير الكلام في شرح حديث خير الأنام/ سنة : (٢٠١٧م) .
٤. اعتداء سافر على عربية القرآن وكتابته/ سنة : (٢٠١٧م) .
٥. عظمة الأخلاق والسلوك في معاملات السّلف والخلف وحياة السلوك/ سنة : (٢٠١٨م) .

غايةُ الأحرار تحريرُ القُدُسْ

منظومة للأستاذ فخر الإسلام المدني [1]

غـــزَّة تبقـــى بقـــاءَ المِلَّـــة ... سَـجَّلتْ تاريخهـا فِـي صَـفحةِ

جَـدَّدتْ أسـلوبَها فِـي سَـاحةٍ ... جَهَّـزَتْ جَيْـشًا بِهـذي الـسُرْعَةِ

هـل سَـمِعْتم عَـن هجـومٍ للعـربْ ... قـد أتـاكم مـن غـزاة الغَـزَّة

أشـعلتْ نـارًا بقلـبٍ كـافرٍ ... حَقَقـتْ فـوزًا تُجـاه الخطَّـة

أمـة نَامَـتْ علـى فـرْش الحريـرْ ... أيْقظتْهـا مِـن نِيَـام الغَفلـة

أخبرتْهـا " كـل فـوْزٍ بالإلـه " ... جـدِّدوا إيمـانَكم يـا إِخْـوتِي

دركـم للّهِ أبطـالَ الجهـادْ ... فـوزكم بـاللّهِ لا بـالقوَّةِ

أنـتم الأعلـوْنَ مِـنْ إيْمَـانِكم ... طـابَ سـعيًا جُهـدكم لِلجنَّـة

عُـصبَة قـد باغتـتْ أعـداءها ... لـا تُـصوِّرْ مثلهـا عـن دَوْلـة

صـبَّحتهم بُكـرةً في دارهـم ... شـنَّتِ الغـاراتِ بَعـد الغَـارة

قد أعدوا مَا استطاعوا من سببْ ... مـن سـلاحٍ مِـن عِـداد عُـدَّة

مَـا همـا إلا اصـطبارٌ وَالتقـى ... نَـصْرُ رَبِّـي فـوْقَ كـلِّ الطاقـة

قبـة الأقـصى تُنـادي طيَرَهـا ... يـا أبابيـل الـسما للقبلـة

احـتلالٌ مِـن يَهـودٍ للقـدْس ... كيـف تَرضَـى يَـا سـلاحَ الأمَّـةِ

[1] كراتشي ، باكستان .

إنَّهـا مَـسْرَى الرسـولِ الهـاشمي ... رِحْلـة طابـتْ لـنفسٍ طابَـت

أمـة قـد زُحْزِحَـتْ عـن أرضِـها ... تَـرفض الهجـران بعـد الهجـرة

غايـة الأحـرار تحريـرُ القـدُسْ ... مَسْجد الأقصى كأقصى الغاية

تُربَـة الأقـصى تنـادي قـادة ... طهِّـرُوا آبارهـا مِـن جِيفـة

لـيس للإنـسان إلا مـا سـعى ... أنقِـذوا إخـوانكم بالحيلـة

لـن تنـالوا الـبرَّ حتـى تُنفقـوا ... سـاعدوا إخـوانكم في عجلـة

خبِّـرُوهم عـن حـصون خَيـبر ... جـدِّدُوا مَـا قطعَـتْ مـنْ لِينـة

نَبِّـؤُوهُم جـاءَ وَعْـدُ الآخـرة ... حَـذِّرُوهم مـن وُجـوه العَـوْدة

مـن علـو مـن عُتُـو مـن فـسادْ ... اقـرأ الإسـرا لفهـم القـصة

لعنـة قـد أتبعـوا بـل ذِلـة ... أنـذِرُوهم مـن لـزوم الحـسرة

أنـصفَ القـرآنُ فِـي حـق اليهـودْ ... هُـم خنـازيرٌ بـنصِّ الآيـة

أطلقـوا الـنيران فـوق الأبريـاء ... اعتـداءً اغتنـامَ الفرصـة

أمهـات قطعَـتْ أكبادهـا ... ترفـع الأيـدي لِـرَبَّ القـدرة

قاتـل اللّه اليهـود الظالمـة ... شـرِّدُوا أطفالهـا بالقـسوة

هَـلْ أتـاكم بطـشُ ربِّـي للجُنـودْ ... أهْلِكـوا بـل عُـذِّبُوا بالـشدَّة

مـن سـلاحٍ أو أمـير كالـصَّلاحْ ... قـد أصِـيْبُوا في هجـوم الوَحـدة

أهْلكـتْ عـادٌ إلهـي بالـدَّبور ... أهْلـكِ الخنزيـرَ شَـرَّ القِتْلـة

أنقِـذ الإسـلام مـن شـرِّ اليهـود ... والنـصارى هـم رؤوس الفتنـة

إن وعـد اللّه حـق للـشهيد ... بُـشرت أرواحهـم بالنعمـة

غـزَّة تبقـى بقـاءَ المِلـة ... سَـجَّلَتْ تاريخَهـا فِـي صَـفحة

فلسطين قد صارت ضحية دولةٍ

بقلم : الأخ برويز عالم الندوي *

فلسطين قد صارت لنا اليوم مجزراً ... ففي أرضها تُدمى صبايا وتذبحُ

وفي شرقها تبدو هجوم وغارة ... وفي غربها رمح وسيف مسلَّحُ

على مسمعٍ من أمهاتٍ قنابلُ ... تُحَرّقُ جِلدَ الطفلِ والوجهَ تَلْفَحُ

وطفلٌ رضيعٌ لا يخافُ من الوغى ... لديه مماتٌ في فلسطين يرجَحُ

ويُرخِي ظلامُ الظلم قسْراً سجوفَه ... فلسطين فيها الآنَ تمسي وتصبح

ومَسْرى النبيِّ الآنَ تجريْ دماؤه ... فلسطين فيها اليوم تبكي وتسبح

وقد صار إسرائيلُ ذئبا ضراوةً ... لمن كان يرجُو اللّهَ والدينَ يمدحُ

فلسطين قد صارت ضحيةَ دولةٍ ... صواريخُها في القدسِ تهوِيْ وتجْرَحُ

على القبلة الأولىٰ تُغِير إغارةً ... كلابٌ ضعافٌ في العداوة تنبحُ

وترسل إسرائيلُ تَتْرَا سِلاحَها ... سباعاً وكلباً للإغارة تَسْرَحُ

لنا المسجدُ الأقصى سنفتح بابَه ... إلى مدةٍ تعدُو عليه وتمرحُ

فلسطين تدعو اليوم أين خليفة ؟ ... فينقذنا يوماً وبالفتحِ نفْرحُ

ولن تستطيعوا الفوزَ بالقدسِ فاعْلمُوْا ... بتقوى صلاحِ الدينِ حتى تَسلَّحُوا

* أرريه ، بهار .

سجل إجرامي لليهود وفضائحهم

محمد فرمان الندوي

" والظلم من شيم النفوس " كلمة قالها أبو الطيب المتنبي في إحدى قصائده ، هذا البيت وإن كان قد انتقده النقاد والبلاغيون ، وقالوا : العدل من شيم النفوس ، والمحبة من شيم النفوس ، لكن قول المتنبي هذا يوافق طبائع بعض الناس ، كأنهم خُلقوا على الظلم والاضطهاد ، وفُطروا على العداوة البغضاء ، فظل البغي والفساد ديدنهم ، وكان التخريب والهدم شعارهم ، فلا يُرجى منهم الوفاء ، ولا يُسمع منهم كلمة جد ، هكذا كان شأن اليهود عبر التاريخ ، فإن تاريخهم حافل بالغدر والخيانة والظلم والاعتداء ، إنهم لا يعرفون للإنسانية معنىً ، وللرحمة مفهوماً ، وقد بلغت شقاوتهم وحرمانهم من الحق مبلغاً لا يُتصور ، فطبع الله على قلوبهم ، وألحق بهم العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر .

ليست هذه الدعوى جزافاً ولا اعتباطاً ، بل هناك شواهد ودلائل تكشف الموضوع كشفاً واضحاً ، وخير ما يشهد بهذه الطبايع الشيطانية الشريرة القرآن الكريم ، فإنه ذكر استكبارهم وغرورهم ، بحيث إنهم كانوا يقولون : نحن شعب الله المختار ، ونحن أحباء الله وأبناؤه ، ولن يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى ، وقولهم : ليس علينا في الأميين سبيل ، إشارة إلى أمة محمد صلى الله عليه وسلم ، ويعتبرونهم نجسةً وحقيرة ، ويظنون المسلمين العرب أقل من البشر وأذل من الكلاب ، وأما خرقهم للمواثيق فإنه نتج في زمن العهد المدني ، إنهم شاركوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في ميثاق المدينة ، ثم لم يلبثوا إلا وقد نقضوا العهد ، ونبذوه وراءهم ظهرياً ، وقد سوَّلت لهم أنفسهم بقتل الرسول صلى الله عليه وسلم شأن المشركين ، أحياناً برمي صخرة ملساء على جسده ، وأخرى بدس السم في الطعام ، وكانت هذه مساوئهم ومخازيهم ، فنُكلوا من العذاب تنكيلاً ، وشُردوا من جوار المدينة إلى مناطق شاسعة ، وفي زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنهم أُخرجوا من جزيرة العرب ، هذا شهد به القرآن والسنة النبوية .

اتهامات سخيفة وعقاب من الله :

سجل التاريخ الإنساني من جرائم اليهود على الإنسانية أنهم يقولون : إن السيف والتوراة نزلا معاً من السماء ، وإن هناك صنفين من الناس : يهودي وغوييم ، فاليهود هم أولياء الله من دون الناس ، والغوييم هم أرذل الناس ، (يريدون بهم المسلمين) وهم خُلقوا لخدمة اليهود ، فإن دماءهم وأعراضهم مستباحة غير محرمة ، لا شك أن بني إسرائيل في مصر كانوا تحت الوطأة الفرعونية مضطهدين ومقهورين ، فأنعم الله عليهم ، لكن حينما نجوا من فرعون وأُغرق فرعون وقومه ، وعبروا بحر القلزم بكل طمأنينة وهدوء ، كأنهم يمشون على البر بمعجزة سيدنا موسى عليه السلام ، ونالوا من القوة والغلبة إلى حد ، وفجَّر الله لهم في الأرض عيوناً ، وآتاهم ما لم يؤت أحداً من العالمين ، فبدأت اعتداءاتهم ومظالمهم على أنبيائهم بكثرة سؤالهم ، واختلافهم عليهم ، فطلبوا رؤية الباري جل جلاله ، وسألوا السماح بعبادة الأصنام ، حتى آذوا موسى عليه السلام إيذاءً كثيراً ، واتهموه باتهامات سخيفة ، وافتراءات ظالمة ، ولما قال لهم موسى عليه السلام : ادخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لكم ، قالوا بكل وقاحة : اذهب أنت وربك فقاتلا ، إنا ههنا قاعدون ، فسلَّط الله عليهم عذاباً من عنده ، حتى بدؤا يتيهون في الأرض أربعين سنة ، هذا نوع من جرائمهم وفضائحهم .

جعل الله لكل قوم يوم فرح ومسرة ، وخيَّرهم تخييراً في اختيار يوم من أيام الأسبوع ، فاختار اليهود يوم السبت ، كما اختار النصارى يوم الأحد ، وجعل الله للمسلمين يوم الجمعة ، كل يحتفل بيومه ، ويبدي فيه سروره وحبوره ، وقد نهى الله كل قوم عن ارتكاب المعاصي والمنكرات في ذلك اليوم ، ولا سيما نهى اليهود عن الصيد يوم السبت ، وكانت الحيتان تأتي يوم السبت كثيراً ، وتطفو لأهل القرية ، بحيث يسهل لهم تناولها ، فإن اليهود بجراءتهم وسوء طبائعهم احتالوا لذلك حيلاً ماكرة ، وتبنوا أساليب خداعة ، وارتكبوا صيد الحيتان في اليوم المنهي عنه ، فثار غضب الله عليهم ، وجعل شبابهم قردة ، وجعل شيوخهم خنازير ، وهذا المسخ لم يكن معنوياً وباطناً ، بل كان حقيقياً وظاهراً ، غير أن الله تعالى لم يجعل لهم نسلاً ، فماتوا على عجل ، غير متناسلين ، ولم تستمر ذريتهم ، قال تعالى : (فَلَمَّا عَتَوْاْ عَن مَّا نُهُواْ عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُواْ قِرَدَةً

خَاسِئِينَ) [الأعراف : ١٦٦] .

ثلاثَ جرائم من اليهود ونكالهم في الدنيا :

وهناك قائمة سوداء لجرائم اليهود ومكايدهم ، نذكر بهذه المناسبة ثلاثاً منها على سبيل المثال ، وهي تكفي لبيان خبث باطنهم ، وما يكنّون في صدورهم من عواطف الظلم والاضطهاد والسيطرة والاستيلاء على الإنسانية جمعاء :

(١) كان إيذاء الأنبياء والرسل عليهم السلام وقتلهم من طبايع اليهود المنتنة القذرة ، فقد ورد في بعض كتب التفسير : إنهم قتلوا : أشعياء ، وأرميا ودانيال وزكريا ويحيى عليهم السلام ، فكانت هذه الجريمة من أشنع الجرائم وأنكدها ، فسلط الله عليهم الملك الفارسي بختنصر ، الذي حكم الأرض من شرقها إلى غربها ، وكان من أرض بابل ، فاقتحم بيت المقدس عام ٥٨٧ قبل المسيح ، وخرَّب القدس تخريباً ، وحرق التوراة ، فتحولت هذه الأرض الخضراء المعمورة بجرائم اليهود إلى قاعٍ صفصف ، فقتل اليهود سبعين ألفاً ، وأسر الباقون ، وظلوا سبعين سنة من الذل والاستعباد ، قال المفسرون : هذا هو مصداق قوله تعالى : (فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَاداً لَّنَآ أُوْلِى بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُواْ خِلاَلَ ٱلدِّيَارِ وَكَانَ وَعْداً مَّفْعُولاً) [الإسرأ : ٥] .

(٢) وبعد زوال حكومة الملك بختنصر سيطر على أرض فلسطين سائرس الثاني من فارس ، فإنه أسكن هذه الأرض من جديد ، وقام ببناء المباني القديمة التاريخية ، وفي هذه الفترة ظل اليهود على طبائعهم السالفة ، فبعث فيهم سيدنا عيسى عليه السلام ، فدعاهم إلى الله تعالى ، لكنهم رفضوا دعوته ، وحاولوا لقتله وصلبه ، وقد صلبوه حسب زعمهم ، فهجم على اليهود عام ٦٧م الملك الروماني تايتس ، بستين ألف جندي ومقاتل ، وسيطر على فلسطين وقتل عشر مأة ألف يهودي ، كما أسر مأة ألف يهودي ، وابتاعهم عبيداً وإماءً ، وهذا هو الوعد الثاني من الله تعالى لتنكيل اليهود وتعذيبهم على جرائمهم .

(٣) هتلر ، وما أدراك ما هتلر ؟ إنه تولى سُدة الحكم في ألمانيا ، خلال ١٩٣٣ – ١٩٤٥م ، ومات هو منتحراً نفسه رغم ما يملك من قوة وسيطرة ، ورد في كتب التاريخ أنه قتل ٦/ ملايين من اليهود إحراقاً ، لماذا فعل هذه الأفاعيل ؟ ولماذا ارتكب هذه الجريمة الشنعاء ؟ هل كان على خطأ فاحش ؟ ذكر المحللون أن اليهود قاموا بالسيطرة على الإعلام

والفن ونظام الحكم قبل توليه مقاليد الحكم ، وقيل : إن والدة هتلر توفيت بسبب خطأ طبي من قبل الطبيب اليهودي ، على كل ، فإن لهم جرائم ومكايد ظلت له مبعث خطر كبير حسب زعمه ، ففعل بهم ما فعل .

شعب مشرَّد ومطارد بجرائمهم :

وهناك تسجيلات وتفاصيل لجرائم اليهود ، الذين لم تسمح لهم أي حكومة أو مملكة في الغرب بالاستيطان والإقامة ، فحيثما سكنوا وأقاموا ما راعوا إلاً ولا ذمةً ، وبداؤا ينسجون خيوط محاولات ماكرة ، ومساع ظالمة ضد الحكومات ، فشردتهم تلك الدولة أو الحكومة ، حتى سمحت بريطانيا زمن انتدابها على فلسطين بإقامتهم فيها ، فبدؤوا يهاجرون من أقصى العالم إليها ، والغرب كان يكره اليهود ، ويعاديهم ، ليس منذ زمن هتلر ، بل من العصور القديمة ، وقد عاملت معهم محاكم التفتيش أسوء معاملة في القرنين الخامس عشر والسادس عشر الميلادي ، وقد أجبروا على ارتداء شارة صفراء أو قبعة خاصة ، ليكونوا منفردين من المسيحية ، وقد طردوا خلال هذه المدة من فرنسا وألمانيا والبرتغال وإسبانيا ، كما حُرموا من الجنسيات والحريات المدنية والتصويت ، فسنحت له فرصة للنقل إلى الشرق الأوسط قسراً ، ومنذ ذلك الوقت لا تزال المحرقة الدموية على أرض فلسطين ، وتتصاعد نسبتها يوماً فيوماً ، وإن طوفان الأقصى كان كرد على هذه المجازر والمذابح التي جرت منذ خمس وسبعين سنة ، ونظراً إلى هذه الجرائم البشعة نقول بلسان غوستاف لوبون : " تأثير اليهود في تاريخ الحضارة صفر ، وأن اليهود لم يستحقوا بأي وجه أن يعدوا من الأمم المتمدنة ، وتاريخ اليهود الكئيب لم يكن غير قصة لضروب المنكرات ، وإن قدماء اليهود لم يجاوزوا أطوار الحضارة السفلى التي لا تكاد تميز من طور الوحشية ، ولا أثر للرحمة في وحشية اليهود ، فكان الذبح المنظم يعقب كل فتح " [اليهود في تاريخ الحضارات الأولى : تعريب : عادل زعيتر] .

وقد هدد الله تعالى اليهود أنهم إذا تمادوا في الظلم والغطرسة ، ولم يرعووا عن غيهم ودهائهم ، ولم يمتنعوا عن جرائمهم ، وظلوا يعيثون في الأرض فساداً ، ويهلكون الحرث والنسل ينزل الله عليهم عذاباً من عنده ، فيكون أخذه أخذ عزيز مقتدر ، قال تعالى : (عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيراً) [الإسرأ : ٨] .

بيان من رابطة الأدب الإسلامي العالمية
إلى الأدباء والمفكرين عن الحرب العدوانية على غزة

بقلم : الأستاذ الدكتور حسن الأمراني *

تمهيد : تقوم آلة الحرب الجهنمية الصهيونية النازية منذ ٧ أكتوبر ٢٠٢٣م ، بالعمل على تدمير غزة ، وإبادة من فيها ، من الأطفال والنساء والشيوخ ، وتخريب ما فيها من المؤسسات المدنية ، من مستشفيات ، ومدارس ، وكنائس ، ومساجد ، ومن مقرات هيئات دولية ، مثل الأونروا ، والصليب الأحمر ، وغيرهما ، مما خلّف ما يزيد على عشرة آلاف من الشهداء ، وعلى عدد كبير جدا من الجرحى ، أطفالاً ونساءً ورجالاً وشيوخاً ، دون أن يعبأ الصهاينة – كعادتهم – بالقرارات الأممية [1] ، والمحاكم الدولية ، ولا أن يراعوا حرمة المؤسسات ، ولا القوانين الدولية ، ولا أن يلقوا بالاً لقرارات الجمعية العامة للأمم المتحدة ، وغيرها من المنظمات الدولية ، ولا حرّكتهم المظاهرات الشعبية التي تعمّ العالم ، من الأميركتين حتى أستراليا ، ضاربين عرض الحائط بجميع نداءات وقف إطلاق النار . كما أن أكثر الأنظمة العربية والإسلامية ، رغم ما يصدر عن مؤتمراتها من قرارات ، بقيت عاجزة عن دعم أهل غزة الصامدة ، وإدخال المساعدات الإنسانية إلى أهلها ، عبر معبر رفح الذي لم يفتح حتى الآن بشكل دائم ، رغم النداءات الإنسانية المتكررة ، مما منع من وصول ما يحتاجه القطاع ، من طعام وشراب ودواء ووقود ، وغير ذلك من الحاجات الإنسانية ، مما يعرض أهل غزة إلى كارثة إنسانية غير مسبوقة .

ونسجل بكل حزن وألم تقصير بعض المؤسسات الإعلامية التي تقع في فخ الآلة الصهيونية ، غفلة أو قصداً ، ولاسيما بعض وسائل الإعلام الأجنبية الناطقة بالعربية ، التي تسمي الأمور بغير تسميتها الحقيقية ، كالحديث عن الشهداء بصيغة " القتلى " ، وكالحديث عن " المدنيين " في الكيان الصهيوني .

---

* رئيس رابطة الأدب الإسلامي العالمية .

[1] كان أول ضحايا الصهيونية من الممثلين الأمميين الديبلوماسي السويدي الكونت فولك برنادوت ، وهو من العائلة الملكية السويدية ، وقد ترأس الصليب الأحمر ، وأرسلته الأمم المتحدة وسيطاً بين العرب واليهود ، لكن الصهيونية اغتالته في ١٧ سبتمبر ١٩٤٨م .

وإن من مظاهر " الكوميديا السوداء " أن ترسل بعض الجهات إلى أهل غزة أكفانا ، وكأنهم يقولون لهم : موتوا وسنتولى تكفينكم ودفنكم .

لذلك كله ، فإن رابطة الأدب الإسلامي العالمية ، تدعو الأدباء والمفكرين وحملة الأقلام الحرة ، إلى القيام بمسؤوليتهم الملقاة على عاتقهم ، وتهيب بهم أن ينهضوا نصرة للحق ، ورفعاً للظلم عن المستضعفين ، الذين قال فيهم الله سبحانه وتعالى : (وَمَا لَكُمْ لا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا) [النساء : ٧٥] .

وبناءً على هذا ، نذكّر الأدباء والمفكرين وسائر أهل القلم بأن من جوهر رسالتهم ما يأتي :

(١) نصرة أهل غزة والمسجد الأقصى المبارك بأقلامهم ، وذلك بتسخيرها لبيان ما يقوم به المعتدون الصهاينة النازيون من أفعال دموية همجية ، وتصرفات وحشية ، في حق أهلنا في غزة ، وفي فلسطين ، كل فلسطين . وهي جرائم في حق الإنسانية لم يشهد التاريخ لها مثيلاً .

(٢) وقف جهودهم الأدبية والفكرية في هذه المرحلة بخاصة على قضية رفع المعاناة عن إخوانهم وأهليهم في غزة وفلسطين ، وتأجيل كل اهتماماتهم ومشاغلهم الأدبية والفكرية الأخرى ، إلى ما بعد هذه المرحلة .

(٣) العمل على نشر الوعي بين جماهير الأمة العربية والإسلامية ، وغيرها من جماهير العالم من أصحاب الضمائر الحية ، وتبصيرهم بحقيقة ما يجري في فلسطين ، ولا سيما في غزة ، وبيان أن ما يقع تحت أبصارهم وأسماعهم ما هو إلا صراع بين محتلّ غاشم ، ومستعمر بغيض ، طارئ على أرض فلسطين ، قادم من أصقاع مختلفة من العالم ، وبين الفلسطينيين أهل الأرض الأصليين ، الذي لهم الحق الشرعي ، والقانوني ، والإنساني ، والطبيعي ، للدفاع عن وجودهم ، ضد من يسعى إلى استئصالهم من أرضهم ، وإبادتهم ، إما عن طريق التهجير ، وإما عن طريق التدمير .

(٤) تدعو الرابطة أصحاب الأقلام الحرة في العالم إلى الضغط على دولة الصهاينة المعتدية ، وعلى جميع من يناصرها ويدعمها ، عسكرياً ، وإعلامياً ، وسياسياً ، واقتصادياً ، وذلك بالدعوة إلى مقاطعة كل منتجاتهم الاقتصادية ، والإعلامية ، والفكرية ، والفنية ،

وغيرها ، وقد تبين أن هؤلاء هم عُبّاد مال ، وإن من شأن المساس بعصب المال أن يردعهم عن غيهم ، ويجعلهم يعيدون حساباتهم ، عسى أن يرتدعواعن رؤيتهم الضالة ، ومواقفهم الظالمة .

(٥) أن يبصّروا العالم بأن التاريخ علّمنا أنه لا تجتمع صفة المحتلّ وصفة المدني في شخص واحد . فكل محتلّ هو بالضرورة محارب . فالصهاينة كلهم محاربون ، لأنهم محتلون ، وليس فيهم من مدني . وقد أمرت الشرائع السماوية والقوانين الوضعية بأن نحارب من يحاربنا ، ونسالم من يسالمنا . والذي يحتلّ أرضنا ، ويعتدي على مقدساتنا ، هو محارب لنا بالضرورة . فإن فاء ورجع وترك أرضنا فنحن له مسالمون . (وإن عدتم عدنا) .

(٦) على الأدباء والمفكرين أن يقاطعوا كل صور التطبيع ويناهضوه ، سواءً أكان التطبيع سياسياً ، أو اقتصادياً ، أو ثقافياً ، أو إعلامياً . وإنه لن يُعذَر أحد ممن يسارع في التطبيع والمطبّعين خوفاً أو طمعاً . وينبغي نصحُ الحكام الذين بادروا إلى التطبيع ، بالكلمة الطيبة ، وتبصيرهُم بأن التطبيع لم يجلب لهم أي خير ، ولن يجلب لهم أيّ خير ، بل إنهم خسروا ، وسيخسرون بلا ريب ، بسبب التطبيع ، قلوب شعوبهم التي فطرت على رفض أي صورة من صور التطبيع مع الكيان الصهيوني المغتصب للمسجد الأقصى وأكناف المسجد الأقصى .

(٧) على الأدباء والمفكرين مقاطعة وسائل الإعلام الأجنبية الناطقة بالعربية ، الموالية للعدوّ الصهيوني ، ودعم الإعلاميين الأحرار الذي وقفوا مع الحق في تلك المنابر ، واستنكار معاقبتهم بالعزل ، أو بمحاكمتهم ، والضغط على تلك الوسائل الإعلامية كي تنصف إعلاميّيها الشرفاء الأحرار ، وعليها أن تنشر الحقائق ، وتلتزم بأخلاق المهنة الإعلامية التي ترتكز على حرية الرأي ، وتلتزم بنقل الأخبار بموضوعية .

(٨) وإن من أخطر ما ينبغي الالتفات إليه ومحاربته هو الأذرع الصهيونية – الأخطبوطية التي صارت تمتدّ إلى عدد من الدول العربية ، ويعهد إليها بمسؤوليات حساسة بشكل رسمي داخل مفاصل الدول ، بدعوى أنهم " يهود مواطنون " . وإذا كنا مدعوين إلى التعامل مع أهل الكتاب بالحسنى ، اقتداءً برسولنا محمد صلى الله عليه وسلم ، وبخلفائه الراشدين ، حيث مات الرسول صلى الله عليه وسلم ودرع له مرهونة عند يهودي ، وأسقط عمر رضي الله عنه الجزية عن شيخ يهودي لعجزه عن الأداء ، فإن من سنته عليه السلام ، وسنة الخلفاء الراشدين ، عدم تولية أحد من أهل الكتاب على أمر من أمور المسلمين . وقد ورد أن

خالد بن الوليد رضي اللّٰه عنه ، أشار على عمر بن الخطاب رضي اللّٰه عنه ، بأن يستعمل كاتباً نصرانياً ، لا يقوم خراج الشام إلا به ، فقال له عمر : لا تستعمله [1] .

وأما ما سوى ذلك من الأمور فهم مواطنون ، لهم ما لهم وعليهم ما عليهم .

وعلى هذا فإن معركتنا مع الصهيونية – النازية ليست في فلسطين فحسب ، بل خارجها أيضاً .

(٩) دعوة أولئك الذين اغتروا بالدعاية الصهيونية الآثمة ، من أبناء جلدتنا ، فراحوا يمكنّون للصهاينة النازيين اقتصادياً وإعلامياً في بلداننا ، إلى التوبة والتراجع عن السير في طريق الضلالة التي جرهم إليها الوهم الصهيوني بدعوى التعايش والتسامح والسلام .

(١٠) على الأدباء والمفكرين التعبير عن رفضهم القاطع إلصاق تهمة الإرهاب بالمقاومة الفلسطينية الباسلة ، وتأكيد أنها جزء أصيل من الشعب الفلسطيني الذي يمارس حقه المشروع في مقاومة المحتلّ الغاصب حتى تحرير أرضه كلها ، ونيل حريته ، وإقامة دولته المستقلة ذات السيادة على ترابه الوطني ، وعاصمتها القدس الشريف .

(١١) يقول الرسول صلى اللّٰه عليه وسلم : " كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته " . وإن على الأدباء والمفكرين مسؤولية تبصير من هم تحت أيديهم ، أو من هم على علاقة بهم ، بأن الصراع في فلسطين هو صراع بين الحق والباطل ، لا بين اليمين واليسار ، ولا بين الفقراء والأغنياء ، ولا غير ذلك من وجوه الصراع ، وأنّ الحقّ هو مع أصحاب الأرض الشرعيين ، وأن الباطل هو المحتلّ المغتصب للأرض . وقد علّمنا التاريخ الحديث والمعاصر أن الشعوب حين تستيقظ وتثور مطالبة بحقها فإنها تنتصر لا محالة ، وأنّ الاستعمار دائماً إلى زوال . وليست قضية التحرير والتحرر في فلسطين بدعاً بين الشعوب . وإن شعلة الإيمان المتقدة في صدور المقاومة هي رمز انتصار الحق ودحر الباطل ، واللّٰه جل وعلا يقول في سورة الإسراء : (وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا) .

(وحرر بوجدة في ٢٩ ربيع الآخر ١٤٤٥هـ / الموافق لـ ١٣/١١/٢٠٢٣م)

---

[1] بقية الخبر : فكَتَبَ خالد : " إنَّهُ لا غِنَى بِنَا عَنْهُ " فَكَتَبَ إلَيْهِ عُمَرُ " لا تَسْتَعْمِلْهُ " فَكَتَبَ إلَيْهِ " إذَا لَمْ نُوَلِّهْ ضَاعَ الْمَالُ " فَكَتَبَ إلَيْهِ عُمَرُ – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ – " مَاتَ النَّصْرَانِيُّ وَالسَّلام " ، وفي الكشاف للزمخشري أن الذي اقترح على عمر كاتباً نصرانياً هو أبو موسى الأشعري .

القرارات والتوصيات للندوة الفقهية الخامسة ١٤٤٥هـ

مجمع البحوث والدراسات الشرعية التابع لندوة العلماء ، لكناو ، الهند

تعريب : الدكتور محمد علي شفيق الندوي *

انعقدت الندوة الفقهية الخامسة التي استمرت ثلاثة أيام ، تحت رعاية مجمع البحوث والدراسات الشرعية التابع لندوة العلماء بالهند ، في الفترة ما بين ٢٠ – ٢٢ أكتوبر ٢٠٢٣م ، حول ثلاثة مواضيع : الأول : قضية حضور المرأة المساجد ، والثاني : قضية الصلاة في الأماكن العامة ، والثالث : حول المعيار الفيصل لنصاب الزكاة ، وضم الأنصبة .

وقد حضر الندوة وشارك فيها نخبة من كبار العلماء والمفتين من جميع أنحاء البلاد ، وبعد نقاش علمي هادئ لمدة ثلاثة أيام أصدر المجمع القرارات التي تمت الموافقة عليها كما يأتي :

أولاً : القرارات والتوصيات بشأن حضور المرأة في المساجد :

(١) للمساجد مكانة مركزية في الإسلام ، فهي – إلى جانب العبادة – محور الإصلاح الروحي والتعليمي والتربوي والاجتماعي .

(٢) ورد في الأحاديث ما يدل على إباحة حضور المرأة في المسجد بشروط معينة ، وعلى أن صلاتها في بيتها أفضل وأعظم أجراً ، وكذا كان الصحابة رضي الله عنهم يرون أن صلاة المرأة في بيتها أفضل .

(٣) إذا خرجت المرأة لضرورة ، وخشيت فوات الصلاة ، وكان هناك مسجد قريب ، فإن لها أن تصلي فيه .

(٤) في حالة عدم توفير مكان مناسب لبرنامج دعوي وإصلاحي للمرأة ، فلا حرج لتنظيم البرنامج في المسجد .

(٥) بالنسبة للنساء اللاتي يخرجن من المنزل للضرورة ، فيجوز أن

* عضو المجمع ، وأستاذ الفقه بدار العلوم لندوة العلماء .

يخصَّص لهن ركن في المسجد إذا كان فيه سعة ؛ ليؤدين فيه صلاة الفريضة .

(٦) المساجد الجديدة التي تبنى بالقرب من الطرق السريعة والأسواق والأماكن العامة (محطة القطار ، المطار ، المستشفى ، وغيرها) ، من المناسب بناء موضع خاص مع مرافقه للنساء .

ثانياً : القرارات حول الصلاة في الأماكن العامة :

الصلاة ركن أساسي من أركان الإسلام ، يفترض أداؤها في وقتها ، فالواجب على المسلمين أن يصلوها في وقتها أينما كانوا .

(١) يعيش المسلمون في الهند منذ قرون ، وكانت لهم علاقات جيدة مع إخوانهم من المواطنين من شتى الأديان ، والمسلمون مطالبون بالصلاة خمس مرات في أوقاتها يومياً ، وظل المسلمون يؤدونها في الأماكن العامة حسب الحاجة ، ولم يكن يعترض على ذلك إخوانهم من المواطنين أبداً ، بل كانوا يتعاونون ، ولكن للأسف الشديد بدأت تحدث هنا وقائع وأحداث مؤسفة منذ بضع سنوات ، فنحن نطلب من إخواننا غير المسلمين أن يحاولوا الحفاظ على أجواء التسامح والثقة المتبادلة التي كانت تتمتع بها بلادنا في الماضي . وأن يحاولوا أن يُفهموا ويُقنعوا ويُسيطروا على هؤلاء القلة الذين يفسدون هذه البيئة الأمنية السمحة .

(٢) الهند دولة ديمقراطية ، يتمتع جميع المواطنين في دستورها بالحرية الدينية ، بما في ذلك الصلاة . والصلاة عبادة يتم أداؤها في هدوء وسلام وفي وقت قصير ، لذا يجب على حكومة الهند أن تفرض قيوداً على أولئك الذين يعرقلونها .

(٣) يفترض أداء الصلاة أثناء السفر في الأماكن العامة ، مثل الحدائق ومحطات القطار والمطارات ، وفي القطارات والطائرات ، قدر الإمكان .

(٤) يجب على من يصلي في الأماكن العامة أن يولي الآخرين عنايةً خاصةً حتى لا يتأذى به أحد .

(٥) حيث يخشى الضرر من أحد بسبب أداء الصلاة ، ولو قدر الإمكان ، يجوز تأخير الصلاة .

ثالثاً : القرارات بشأن المعيار الفيصل لنصاب الزكاة ، وقضية ضم الأنصبة :

(١) الزكاة فريضة هامة في الإسلام ، أوجبها الشرع على مالك النصاب ، ونص الحديث على أن نصاب الذهب عشرون مثقالاً ، ونصاب الفضة مأتا درهم . فمن ملك عشرين مثقالاً (سبعة وثمانون جراماً وأربع مائة وثمانون مليجراماً : ٨٧,٤٨) من الذهب ، أو مأتا درهم (ست مائة واثني عشر جراماً ، وثلاث مائة وستون مليجراماً : ٦١٢,٣٦) من الفضة ، فهو صاحب نصاب في نظر الشرع ، وتجب عليه الزكاة .

(٢) وتجب الزكاة أيضاً في أموال التجارة والنقود (العملات المعدنية أو الورقية) ، ولكن النصاب فيها بحسب تصريحات جمهور الفقهاء نصاب الفضة ، أي ما يساوي قيمة مائتي درهم (ست مائة واثني عشر جراماً ، ثلاث مائة وستون مليجراماً : ٦١٢,٣٦)؛ فإن بلغت قيمة أموال التجارة والعملات قيمة ذلك ، وجبت فيها الزكاة ، وأغلب المشاركين في الندوة على نفس الموقف ، لكن عدداً كبيراً من المشاركين في الندوة يرون أن الزكاة إنما تجب فيها إذا بلغت قيمتها قيمة عشرين مثقالاً من الذهب (سبعة وثمانون جراما ، وأربع مائة وثمانون مليجراما : ٨٧,٤٨) .

(٣) إذا كان لدى شخص ذهب أقل من النصاب ، وفضة أقل من النصاب أيضاً ، فلا حرج في ضم أحد النصابين إلى الآخر بحسب الأجزاء ، فإن اكتمل النصاب بذلك وجبت عليه الزكاة وإلا فلا .

(٤) من كان عنده ذهب وفضة ، كل منهما أقل من النصاب ، ولديه أموال التجارة أو النقود ، فحكم الزكاة في هذه الحالة على مجموع قيمتها الإجمالية وفق القرار رقم ٢ .

(٥) الأضحية عبادة قررت على ذي سعة ، فمن كان عنده مال زائد عن الحوائج الأصلية تبلغ قيمتها نصاب الفضة ، ولكن يصعب عليه تحمل تكلفة الأضحية بسبب حالته المادية ؛ يرخص له أن لا يضحي .

(٦) من كان عنده مال يزيد عن حوائجه الأصلية وتصل قيمته نصاب الفضة ، لا يجوز له استلام الزكاة .

الأدب والإسلام وأعلام الأدب الإسلامي
للشيخ الدكتور سعيد الأعظمي الندوي

الأخ محمد وصي *

هذا الكتاب يضم مقالات وأحاديث كتبها سعادة الشيخ الأستاذ الدكتور سعيد الأعظمي الندوي حفظه الله ورعاه حول الأدب والإسلام بروح توجيهية خالصة وأسلوب أدبي شيق ممتع رفيع ، هذا الكتاب يغطي مأتين وعشرين صفحةً من القطع المتوسط ، وهو مجموعة كتابات نشرت في مجلة " البعث الاسلامي " في مناسبات مختلفة ، ولا شك أن هذه الموضوعات لها صلة بالحياة والكون والإنسان ، وهي تترجم عن غاية الإنسان في هذا الكون .

يبدأ الكتاب بكلمة المؤلف ، ويتوزع الكتاب في بابين :

(١) الباب الأول : الأدب والإسلام

فيه إحدى عشرة مقالة أدبية حول الأدب والإسلام ، وإليكم بعض عناوينها :

(١) أدب الدعاء والذكر والرسول عليه الصلاة والسلام (٢) الأدب والإيمان : نعمة من الله على الإنسان (٣) الدعوة الأدب صنوان متعاضدان (٤) الفكر الإسلامي وصلته بالأدب والبيان (٥) الأدب الأثيم (٦) أدب النثر الأدبي بعد الحرب العالمية .

(٢) الباب الثاني : ساعة مع أعلام الشعر والأدب

يشتمل هذا الباب على عشرين مقالة ، منها :

(١) الشاعر الذي أحببته (الشريف الرضي) (٢) قدامة بن جعفر وخدماته النقدية (٣) ابن المقفع – وحياته الأدبية (٤) الشاعر محمد إقبال يناجي العرب (٥) العلامة الطبيب السيد عبد الحي الحسني : مؤرخا وأديباً (٦) فقيد الأمة الإسلامية الإمام السيد أبو الحسن علي الحسني الندوي (٧) الشيخ السيد محمد الرابع الحسني الندوي في ضوء أفكاره النيرة (٨) الصديق الأسير الأستاذ محمد الحسني رحمه الله تعالى (٩) الأستاذ السيد محمد واضح رشيد الحسني الندوي .

وعلى كل ، فالكتاب تحفة قيمة للأساتذة والطلاب ، والمعنيين بالفكر الإسلامي ، والمهتمين بالأدب الإسلامي ، وهو زيادة قيمة في مكتبات العلم والدين ، ندعو الله سبحانه وتعالى أن يوفق شيخنا لتقديم أمثال هذه الأعمال الجليلة والكتب القيمة ، فجزاه الله خيراً عنا وعن جميع المسلمين .

---

* الطالب في السنة الرابعة العالية بدار العلوم لندوة العلماء .

(١) مرتضى الزبيدي معجمياً

مدير التحرير

وصلت إلى مكتب المجلة هدية علمية من الدكتور قمر شعبان الندوي ، وهي مرتضى الزبيدي معجمياً ، طُبع الكتاب من دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ويغطي مأتين وثلاثاً وعشرين صفحة ، كما يحتوي على أربعة أبواب ، وتزدان فاتحة الكتاب بالإهداء والتقديم والتقريظ والمدخل بين اللغة والأدب والمعجمية ، وكلمة شكر وتقدير ، ثم يبتدئ الباب الأول : مرتضى الزبيدي : حياته العامة والعلمية ، وفي هذا الباب خمسة فصول ، والباب الثاني : القاموس المحيط ومجد الدين الفيروز آبادي ، وفيه فصلان ، والباب الثالث : تاج العروس : التأليف والتحقيق والطباعة ، وفيه ثلاثة فصول ، والباب الرابع تاج العروس بين العرض والنقد ، وفيه ثلاثة فصول أيضاً ، وانتهى الكتاب على الخاتمة ، واعتنى المؤلف بعد نهاية كل باب بذكر خلاصة المواد التي ذكرت في هذا الباب ، وهناك ثبت للمصادر والمراجع ، وهي تنقسم إلى ثلاثة أقسام : المصادر الأولية ، والمراجع الثانوية ، والمجلات .

قدم الأستاذ الدكتور محمد أكرم الندوي لهذا الكتاب ، وهو يقول في مقدمته : " إن هذا الكتاب الذي أتحدث عنه عبارة عن رسالة المؤلف التي نال بها شهادة الدكتوراه ، من جامعة جواهر لال نهرو ، دهلي ، الهند ، لقد استرعى عنوان الكتاب انتباهي ، إذ قرأت الكثير عن الحافظ مرتضى الزبيدي محدثاً ومسنداً ، ولعله لم يأت بعد الحافظين السخاوي والسيوطي من توسع مثله في الإسناد ، وذكر السامعين بلذة : حدثنا وأخبرنا ، وهو الذي أحيا سنة القراءة والسماع والإجازة بعد ما أميتت ، وبعث مجالس الإملاء بعد أن أتى عليها حين من الدهر لم تكن شيئاً مذكوراً ، وإذا بصاحبنا قمر (شعبان الندوي) يطلع علينا بهذه الدراسة التي تتناول جانباً خطير الشأن في حياة الزبيدي

لا يقل عن جانبه الحديثي ، ألا وهو الجانب اللغوي ، وليس الجمع بين الحديث واللغة بمستغرب " ، وكتب الدكتور محمد جواد حبيب البدراني أستاذ الأدب والنقد ، جامعة البصرة ، العراق ، تقريظاً على الكتاب ، وهو يقول : " لقد وفق الباحث الكريم في إبراز تلك الجهود وإبراز تلك القيمة العلمية لهذا المعجم الموسوعي ، وهو بذلك يستحق منا كل الشكر والتقدير " .

والجدير بالذكر أن الأخ قمر شعبان الندوي (أستاذ اللغة والأدب ، قسم اللغة العربية ، كلية الآداب ، جامعة بنارس الهندوسية ، الهند) ألف هذه الوثيقة العلمية تحت إشراف الدكتور السيد إحسان الرحمن ، والدكتور مجيب الرحمن الندوي ، كما استفاد خلال إعداد الكتاب من الدكتور عامر باهر الحيالي من جامعة الموصل بالعراق ، والدكتور محسن العثماني الندوي والأستاذ زبير الفاروقي . ونحن إذ نبارك الأخ قمر شعبان الندوي على الإنجاز العلمي ندعو الله أن يوفقه لمزيد من الكتابات العلمية والدراسات البحثية .

(٢) لمع ونتف من الشعر والشعراء ، (٣) ندوة العلماء : دعوةً ورسالةً

ألف هذين الكتابين الأدبيين الأستاذ الفاضل محمد نعمان الدين الندوي ، وهو كاتب قدير ، وأديب بارع باللغة العربية ، لا يزال يكتب ويؤلف حول موضوعات متنوعة ، ويحمل أسلوباً جميلاً يتصف بالرشاقة الأدبية والرصانة العلمية ، وهو مدير معهد الدراسات العلمية لندوة العلماء ، ومكب على أعماله ونشاطاته ، وقد وفقه الله تعالى لتأليف عدد من الكتب العلمية والأدبية .

فقد صدر حديثاً من قلمه الأدبي كتاب " لمع ونتف من الشعر والشعراء " ، استوعب فيه معنى الشعر لغةً واصطلاحاً ، وتاريخ الشعر ، وشرعيته في ضوء الكتاب والسنة ، كما ذكر الفرق بين الشعر والنظم والشعر والفلسفة ، وتناول موضوع الشعر والرسول صلى الله عليه وسلم ، والشعر والصحابة رضي الله عنه ، والشعر والعلماء ، وشعر العرب

والغرب ، وأهم خصائص الشعر ومواصفات الشعر ، ومن اللمع والنتف في هذا الكتاب : أشعر الشعراء ، وأعظم الشعراء ، وأشعر شعراء الجاهلية ، وتعبيرات عن البيت الجيد ، وغيرها من التفاصيل ، ومما يتميز به الكتاب أن المؤلف لم يذكر كلاماً بدون إحالة إلى مصدره الأصلي ، فاستفاد من تسعة عشر مصدراً ، ما عدا المجلات والجرائد .

ومؤلّف آخر له باسم ندوة العلماء : رسالةً ودعوةً ، هذا الكتاب يغطي ٦٨ صفحة ، ومن موضوعات هذا الكتاب : ما هي الندوية ، وهنا مباراة ... تغبطها الملائكة ، وفي ظل الأم العلمية (ندوة العلماء) ، وديوان الوفاء وسجل الصفاء في وصف حركة ندوة العلماء عبر استيحاء حروفها الغراء ، فإنه استنبط من كل حرف من حروف ندوة العلماء : معنىً ومفهوماً من المعاني والمفاهيم ، وهو ابتكار وجدة في دنيا العلم والمعلومات . بارك الله في أعماله وجهوده .

(٣) فقه الدعوة لدى الإمام يوسف القرضاوي

هذا الكتاب الذي ألفه الأستاذ محمد نوشاد النوري القاسمي (أستاذ دار العلوم وقف بديوبند ، ومساعد التحرير لمجلة وحدة الأمة) وهو يتحدث عن عبقرية الإمام الهمام ، الداعية المفكر ، الأديب الشاعر الشيخ يوسف القرضاوي رحمه الله رحمةً واسعةً .

يشتمل الكتاب على أربعة فصول ، (١) نبذة عن الإمام يوسف القرضاوي (٢) مواهب دعوية لدى الإمام القرضاوي (٣) وسائل دعوية لدى القرضاوي (٤) معالم بازرة لدى القرضاوي ، وقد قدم لهذا الكتاب كل من الشيخ محمد سفيان القاسمي ، والشيخ خالد سيف الله الرحماني ، والدكتور وصفي عاشور أبو زيد ، فإنهم أشادوا بمجهود الأستاذ النوري القاسمي ، والكتاب دراسة معمقة لمنهج القرضاوي في الدعوة ، وقد دُعي المؤلف للمشاركة في ملتقى تلاميذ القرضاوي الرابع المنعقد في الدوحة ، عام ٢٠١٤م ، فكتب بهذه المناسبة هذا المقال المسهب الذي تناول فيه جوانب مختلفةً لحياة الإمام القرضاوي الدعوية ، ولا شك أن الإمام القرضاوي كان رجلاً في أمة ، وأمةً في رجل ، وصدق من قال : ليس على الله بمستنكر ، أن يجمع العالم في واحد ، فالمؤلف يستحق منا التهنئة والتبريك على تأليف هذا الكتاب القيم .

R.N.I. No. (U.P.) ARA/2000/02341
Postal Regd. No. SSP/ LW-NP/64/2024 To 2026
Published on: 3rd of Every Month
Posted at R.M.S. Charbagh Lucknow-04

Despatch Date: 5,6,7
ISSN 2347-2456
Per Copy. Rs. 40/-
Annual Subs. Rs. 400/-

Monthly

AL-BAAS-EL-ISLAMI

Vol. No. 70 Issue. No. 02 January , February 2024

إصدارات حديثة

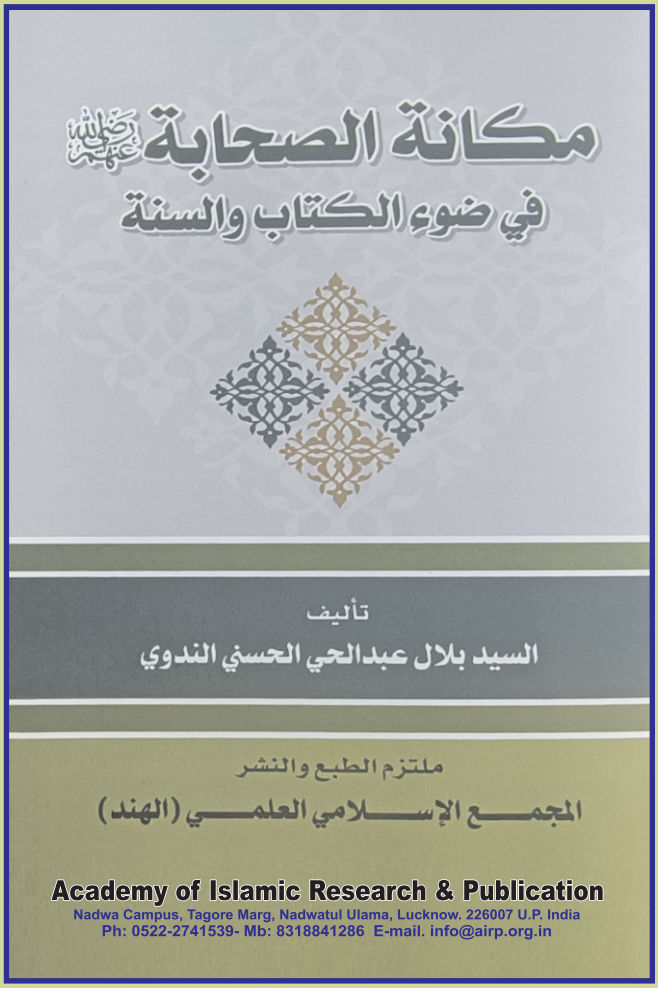

Designed by Hamid, Mob:9889654027,9918687777, E-mail:hrhamid1962@gmail.com

Printed & Published by MOHAMMAD TAHA ATHAR on behalf of Majlis-e-Sahafat-wa-Nashriyat
at Azad Printing Press, Nazirabad Lucknow. U.P.
Editor: SAEED -AL - AZAMI - AL- NADWI